حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الخامس ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٦ هـ / تموز ـ ٢٠١٥ م

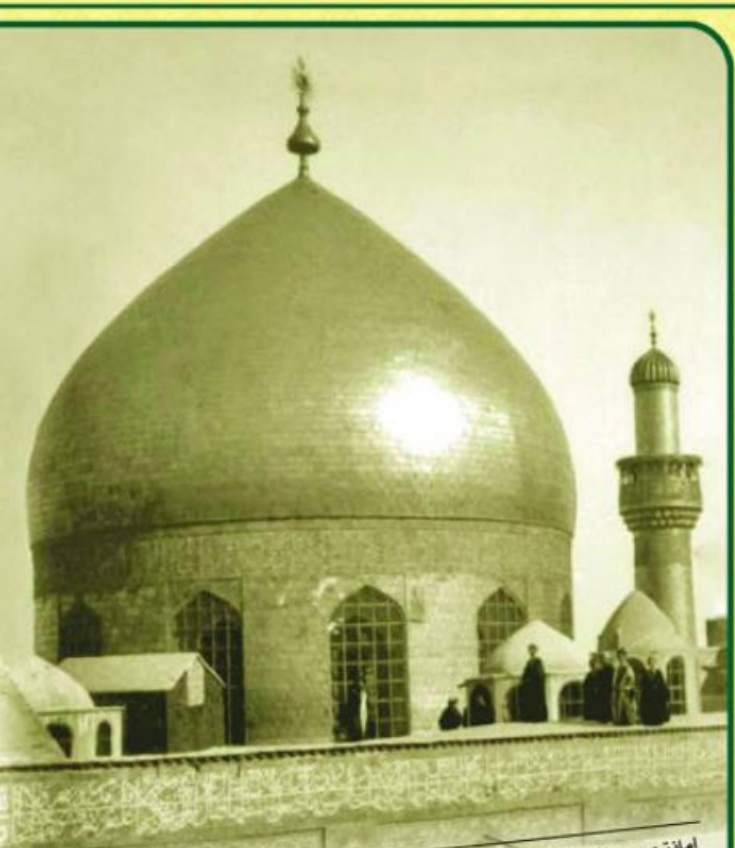

أمانة مسجد المعظم تحتفل بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكوفة عاصمة لحكومته المباركة عام ٣٦ للهجرة

٥

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الكوفة والنجف
في رحلات الحج الفارسية

ترجمة الأستاذ
محمد حسين حكمت النجفي (خازن)

تحقيق وتعليق
د. كامل سلمان الجبوري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد بريته، وأشرف خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

العراق، بلاد ما بين النهرين، موطن الحضارات، العريق بحضاراته السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والآرامية والإغريقية والرومانية والفارسية ثم الحضارة العربية الإسلامية التي ازدان بها وميزته على ما حوله، منذ أن سطعت شمسها الباهرة على ربوعه حتى يومنا هذا، وستبقى على هذا مدى الدهر.

لقد خلفت كل من هذه الحضارات آثاراً، منها ما هو شاخص ظاهر للعيان، ومنها ما استخرج ونقل إلى غيره من البلدان، فاغتنت بها متاحفها احتجاناً من حساب متاحفنا، ومنها ما لا يزال في مدن مكفنة بالرمال، مطمورة تحت الثرى. وذلك لما مرّ به العراق من استيلاء عدة دول فلم تحظ آثار العراق وأعلاقه النفيسة من الكتب والمخطوطات إبان تلكم القرون، إلا بأقل عناية واهتمام، لأنها كانت ولا زالت موضع جشع وأطماع الطامعين، ومسرحاً للحوادث الجسام التي لم ترعَ فيه إلاً ولا ذمّةً.

اجتذبت هذه البلاد منذ أقدم عصورها العديد من السياح والرواد والرحالين، لما لها من مواصفات مرّ ذكرها، ولوفورة الخيرات من شهرة واسعة وصيت ذائع في عوالم الحضارات والآثار، وما ورد عنها من أخبار وحوادث في الكتب المقدسة.

إضافة إلى ذلك فالآثار العربية الإسلامية المتمثلة بمراقد الأئمة المعصومين من آل بيت الرسول (ﷺ) وأبنائهم، ومراقد الأولياء الصالحين ومقاماتهم التي تنتشر في عموم البلاد العراقية، هذه الآثار ما زالت شاخصة للعيان تناطح السحاب سمواً وعظمة..

كل هذه جعلت من هذه البقعة من العالم محطة متميّزة يقصدها السيّاح من مختلف البقاع.

والأهمية الأخرى التي يمتاز بها العراق هو موقعه الجغرافي الذي جعله حلقة وصل بين الشرق والغرب، بين العتبات المقدسة في العراق، والمشاعر المقدسة في الجزيرة العربية.

فأغلب القادمين من إيران وبلاد ما وراء النهر لأداء فريضة الحج وما رافقها من زيارة قبر الرسول (ﷺ) والمشاهد المقدسة لا بد أن يسلكوا طريق العراق.

وخلال الحقبة الزمنية الماضية زار العراق عدد كبير من السياح الأجانب الذين دونوا مشاهداتهم ونشروا مذكراتهم كل بلغته الأصلية. حتى أصبحت تشكل هذه المدوّنات موسوعة كبرى تؤرخ لتلك المرحلة وللمناطق التي كتبوا عنها ووصفوها معاينة...

ومن أولئك الذين دوّنوا رحلاتهم، الحجّاج الإيرانيون الذين اتخذوا من طريقهم زيارة العتبات المقدسة في العراق ثم التوجه إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة لأداء مناسك الحج.

ومما يزيد في أهمية هذه المذكرات أنها نقلت مشاهدات وانطباعات في غاية الدقّة، بسبب وحدة المعتقد مع العراقيين، ووحدتهم المذهبية مع الأغلبية العراقية، فكانت تسهل لهم التمازج والتداخل مع العراقيين والإفادة من معلوماتهم حول المناطق والأماكن التي مرّوا بها ومكثوا فيها.

هناك خمسون رحلة حج فارسية[1] دوّنها خمسون حاجاً

(١) نبهني إليها الأستاذ الدكتور عمار نصار، فله جزيل شكري وتقديري «الجبوري».

من بلاد فارس في العهد القاجاري، اتخذوا أكثر من طريق إلى تأدية فريضة الحج، مرّ عدد منهم إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة في بغداد وسامراء وكربلاء والكوفة والنجف، وسجلوا مشاهداتهم في هذه الأماكن، والطرق التي سلكوها، والمحطات التي نزلوا فيها، ومن بين هذه الرحلات إحدى عشرة رحلة دوّن أصحابها زيارتهم، وقد أشاروا ووصفوا مشاهداتهم وصفاً عاماً تارة، وأخرى بدقة تكاد أن تكون تفصيلية، من منطقة حركتهم حتى وصولهم إلى العتبات المقدسة.

وقد أضفت إليها رحلة واحدة كانت قد نشرت مستقلة، فأصبح عدد هذه الرحلات التي بين أيدينا اثنتي عشرة رحلة، استللت من هذه الرحلات ما يخص الكوفة والنجف، أما بغداد وسامراء وكربلاء وغيرها فلعل الأيام القادمة تساعد في إخراجها مترجمة إلى حيز الوجود.

وقد رتبتها حسب التسلسل التأريخي لزمن الرحلة، مكلفاً الأستاذ الفاضل محمد حسين حكمت النجفي (خازن) بترجمة الرحلات الإحدى عشرة عدا الرحلة رقم (٨) رحلة وقار الدولة فقد كلفت بترجمتها السيد جاسم سعيد الكلابي، إضافة إلى ترجمة مقدمات الرحلات.

وأدب الرحلات أدب قصصي ممتع، شأنه شأن عامة الأدب، فهو يسمو بضمير المتلقي، ويوسع من إحاطته بالشؤون التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بالبلد الذي يشد الرحالة، الرحلة إليه ويسجل في مذكراته مشاهداته ويومياته.

وجميع هذه الرحلات كما أسلفت كتبت باللغة الفارسية اهتم بجمعها وأعدها للنشر العلامة الدكتور رسول جعفريان تحت عنوان «بنجاه سفرنامه حج قاجاري» وترجمتها بالعربية «خمسون رحلة حج قاجاري» وقد قامت بنشرها وزارة الإرشاد الإسلامي في إيران بثمانية مجلدات ضخام سنة ١٣٨٩ شمسي.

ولغرض توضيح بعض المحطات فقد علقت بما يسهل على القارئ الكريم في حواشي الكتاب.

من تراجم الأعلام الذين التقى بهم هؤلاء الرحالة ووصف للأماكن والمحطات التي مروا بها ونزلوا فيها..

وفي الختام أرجو أن أكون قد أديت ما عليَّ من واجب.. والله من وراء القصد

وهو حسبنا ونعم الوكيل

د. كامل سلمان الجبوري

الكوفة في ١٧ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

١- رحلة الخواجة عبد الكريم ابن الخواجة عاقبت محمود الكشميري

(بيان واقع رحلة مكة) ١١٥٤هـ

مقدمة:

في سنة ١٣١٤ شمسية، كتب (السيد) محمود هدايت متن (مدوّنة) هذه الرحلة عن عبد الكريم بن خواجة عاقبت الكشميري، مترجماً إيّاها عن اللغة الفرنسية إلى اللغة الفارسية، وأوضح هذه المتن سفر أحد الكتاب من الهند مروراً ببغداد، ومنها إلى مكة وكان رجوعه إلى ميناء (هوكلي) الواقع في الهند. والمترجم في مقدمته أظهر أنه لا يعرف عبد الكريم الآنف الذكر، واحتمل أن كتابه أو (أثره) قد كتب بالفارسية أو الأوردو، ولم يبق منه أثر، وعلى أي حال فنظراً لوجود نقاط ملفتة للنظر في هذه الرحلة فإنه قد قام بترجمتها من اللغة الفرنسية إلى اللغة الفارسية، وذكر الاسم في كتابه الموسوم بـ(در ركاب نادر شاه، يا سفرنامة عبد الكريم) وترجمتها (في ركاب نادر شاه، أو رحلة عبد الكريم) والقصة وردت بهذا المضمون؛ عندما جاء نادر شاه إلى مدينة دهلي كان الكاتب مقيماً في مدينة شاه جهان آباد، وقد أخذ وعداً من نادر شاه بأنه سوف يصحبه معه إلى الحج، وبالفعل صحبه معه، وذهب إلى العراق ومنه إلى الحج، وبعد عودته، كتب شرحاً عن رحلته، مضمناً إياه سيرة نادرشاه، وأسمى كتابه باسم (البيان) وكان تاريخ هذه الرحلة سنة ١١٥٤-١١٥٥، ونرى أنه جاء في هذه المدوّنة ذكر لقتل نادرشاه، ويحتمل أن تكون هذه المدونة قد كتبت باللغة الإنكليزية وترجمت إلى اللغة الفرنسية، وكاتب متن هذه الرحلة كان سُني المذهب، شيعي الهوى، وقد قدم شرحاً عن العتبات المقدسة، وخاصة عند مدينة كربلاء والنجف الأشرف، حتى أن من يقرأ عباراته لا يظن أنه كان سُنيّاً. إلا عندما نقرأ هذه العبارة عندما وصل إلى سامراء: «... وهذا المكان -بعقيدة الشيعة- هو مكان الغيبة الكبرى للإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه) ويقع في زاوية، أقصى البيت».

نص الرحلة

مقتل ابنَي مسلم بن عقيل (عليه السلام):

أمّا ابنَي مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رضي اللّه تعالى عنهم أجمعين) اللذين قتلهما الحارث الجلف اللعين، فإنّ قبرَي هذين الشهيدين البريئَين يقعان على بُعد فرسخ[1] واحد من

(١) الفرسخ: وحدة قياس للمسافة، وهو يساوي ثلاثة أميال، أي يساوي ٥.٥ كيلومتر تقريباً.

قصبة المسيّب[1] على حافّة نهر[2] الفرات سابق الذكر، وهذان الشقيقان يرقدان تحتّ قبّة صغيرة واحدة، تحيط بها وتكتنفها البساتين من أطرافها[3].

خصائص كربلاء المقدّسة ومشاهد الشهداء (عليهم السلام):

وصلنا في اليوم الثالث إلى تربة كربلاء الطاهرة المقدّسة، الشافية لأمراض الخواصّ والعوامّ الظاهريّة والباطنيّة. والمسافة بين بغداد وكربلاء المقدّسة تبلغ خمسة عشر فرسخاً.

ولمّا كان الناس في إيران يفرّون من أوطانهم نتيجة ظلم حكّامهم الطواغيت، فقد استقرّوا هناك حتّى كبرت المدينة وصارت مدينةً عظيمة مزدهرة.

أمّا العامل الثاني في ازدهار المدينة ووفرة عمرانها، فهو النهر الذي صرف حسن باشا[4] حاكم بغداد ما يقارب العشرة آلاف تومان - ما يعادل لَكّين[5] من الروبّيّات الهنديّة - كي يشقّه من نهر الفرات ويوصل الماء إلى المدينة، إلاّ أنّه توفّي قبل إتمام المشروع ووصول النهر إلى غايته.

بعد ذلك قام الميرزا أشرف جهان أحد أُمراء الشاه طهماسب الصفوي[6] بإكمال المشروع وإتمام شقّ النهر حتّى أجرى الماء إلى المدينة، فصار هذا الماء العذب سببا في كثرة بساتين النخيل والفواكه على أطراف المدينة حتّى صارت تحسدها عليه جنّة المأوى[7].

وتقع القبّة المباركة للروضة المنوّرة لسيّد الشهداء (عليه السلام) في وسط المدينة، والقبر المبارك لعبد اللّه بن الحسين (عليه السلام) يقع أسفل قبر والده العظيم. أمّا مقبرة الشهداء فتقع أسفل قدميه المباركتين.

ويوجد بين مقبرة الشهداء والقبر المبارك فسحة من الأرض هي التي سقط عليها الجسد المقدّس للإمام لحظة شهادته، وهي على مسافة عشرين قدما من القبر المبارك، يربط بينهما ممرّ من جهة الشمال. وقد حفروا في هذا المكان شقّا على هيئة الصندوق بحجم الجسد الطاهر، ويجلبون التربة الطاهرة من المخيّم ويلقونها في هذا الشقّ ويغطّونه بلوح خشبيّ. وكلّما حضر أحد الزوّار إلى هذا المكان لزيارته والحصول على تربة الشفاء فما عليه إلاّ إعطاء الخادم شيئا ثمّ يأخذ مقدارا من هذه التربة الطاهرة.

وتربة كربلاء التي طار صيتها في العالم وانتشرت شرقا وغربا هي هذه التربة، وهي التي يطلقون عليها تربة الشفاء. وخواصّ وبركات تربة الشفاء كثيرة تستعصي على العدّ، من بينها أنّ السفينة إذا تعرّضت إلى الرياح الشديدة العاتية في البحر وصارت تتقاذفها الأمواج فعلى أهلها أن ينتخبوا رجلاً صالحا من بينهم كي يرمي شيئا من هذه التربة باتّجاه الرياح، فتبدأ شدّة الرياح - بقدرة القادر بالحقّ جلّ شأنه - بالانخفاض على الفور، وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله:

إذا ما الخصم ثارت ثورته
فدواؤه منك التواضع
إنّ التذلّل في العواصف ناجعٌ
كنجوع تربة كربلاء ونافعُ

قبّة مشهد العبّاس بن عليّ (عليه السلام):

وتضمّ هذه المدينة أيضاً القبّة والقبر الشريف للعبّاس بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). والناس هنا يقولون إنّ كلّ مَن دخل هذه الروضة وأقسم كاذباً فيها؛ ابتلي في الحال بأنواع البلاء.

---

(١) وردت الكلمة في النصّ الفارسي هكذا: المصيّب، وواضح من سياق الكلام أنّ المقصود هو مدينة المسيّب.
(المترجم)

(٢) وردت الكلمة في النصّ الفارسي هكذا: بحر الفرات، ولا شكّ أنّها تعبّر عن عظمة النهر ووفرة مياهه في زمان تدوين الرحلة.
(المترجم)

(٣) وهما: الشهيدان محمد وإبراهيم، مرقدهما بالضواحي الغربية لمدينة المسيب، وقد طرأت على قبريهما عمارات ولم يزالا عامرين مشيدين، وعلى كل قبر قبة في حرم واحد، أمام قبريهما صحن فيه غرف للزائرين.
وقصة مقتلهما رواها الشيخ الصدوق في أماليه (المجلس ١٩ ص٥١).
والمسيب بلدة متوسطة تقع على ضفة نهر الفرات، وهي مركز قضاء تابع لمحافظة بابل (الحلة) تمتاز بقدمها وموقعها الجغرافي، وتبعد عن الحلة شمالاً بـ٤٢ كيلومتر، وعن كربلاء ٣٥ كيلومتر، ويمر بها الخط الحديدي الممتد بين بغداد والبصرة.

(٤) الحاج حسن باشا، والي بغداد في عهد السلطان عبد الحميد، وهو الذي أمره السلطان عبد الحميد بحفر جدول جديد إلى جانب الجدول القديم لإرواء النجف ولاستقاء الناس، وبذل بذلك ألف ليرة ذهبية من خزانته الخاصة، ووصل الماء في أوائل شهر رمضان سنة ١٣١٠هـ.
وكان قد تولى منصبه سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م حتى سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م.

(٥) اللَّكّ: عند أهل إيران والهند واليمن يعادل المائة ألف. أمّا عند المولّدين فهو يعادل العشرة ملايين.
(المترجم)

(٦) الشاه طهماسب بن الشاه إسماعيل الصفوي، ثاني الملوك الصفويين ولد سنة ٩٩٩هـ في ضاحية «شاه آباد» من ضواحي «أصفهان»، تولّى السلطنة بعد وفاة والده في سنة ٩٣٠-٩٨٤هـ وله من العمر ١١سنة، وتوفي في ١٥ صفر ٩٨٤هـ عن ولاية ناهزت ٥٣سنة، وعمره ٦٤سنة، وكان أعقل أولاد أبيه...
«عالم آرا عباسي (فارسي)»

(٧) نهر الطهماسية: وهو النهر الذي أمر بحفره الشاه طهماسب الأول بن الشاه إسماعيل الصفوي من نهر الفرات إلى النجف، فحفر ولم يتم، وقد سقيت منه بعض الأراضي بنواحي الكوفة، وشكلت منطقة زراعية كبيرة تعرف اليوم بـ(الطهمازية) تابعة إلى محافظة بابل (الحلة).

قبّة الحرّ الشهيد (رضي الله عنه):

أمّا قبّة الحرّ الشهيد فتقع خارج المدينة بمسافة فرسخ واحد، في حين يقع قبر والدته بمسافة أربعين قدماً بعيداً عن القبّة، وكانت قد منعت ولدها من الالتحاق بالإمام الشهيد.

وقد جرت عادة الناس هناك على قيام كلّ مَن يزور الحرّ الشهيد برمي قبر والدته ببعض الأحجار. ولا أثر في الوقت الحاضر لقبر هذه الوالدة، سوى هذه الأحجار التي يرميها الناس على قبرها.

قرية ذي الكفل (عليه السلام)[1]:

والمسافة من كربلاء إلى النجف الأشرف على الطريق الصحراوي القاحل هي اثنا عشر فرسخاً، أمّا عن طريق الحلّة وقرية ذي الكفل (عليه السلام) فهي ستّة عشر فرسخاً، سبعة منها من كربلاء إلى الحلّة، ومن هناك إلى ذي الكفل خمسة فراسخ، ومنها إلى النجف معدن الشرف أربعة فراسخ.

خصائص بلدة الحلّة[2] ومقبرة نبيّ الله أيّوب (عليه السلام)[3]:

بلدة الحلّة مدينة عامرة على ضفّة نهر الفرات العظيم، ويقع مرقد نبيّ الله أيّوب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام على ضفّة ذلك النهر وعلى مسافة نصف فرسخ عن مدينة الحلّة، وإلى جانب ذلك القبر يوجد قبر زوجته رحيمة خاتون التي خدمته كثيراً أيّام مرضه.

أمّا عين الماء الواقعة خارج المقبرة فقد نبعت بأمر الشافي المطلق (جلّ شأنه) وتفجّر ماؤها بمشيئته، وهي التي أشار إليها القرآن المجيد بقوله: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾[4]. ويقول الناس أنّهم لم يذوقوا ماءً بعذوبة ماء هذه العين، وأنّه شافٍ للأمراض المزمنة.

وتمتاز مقبرة النبيّ أيّوب (عليه السلام) بصغر مساحتها وعدم الاعتناء بها وفقر خادمها؛ لافتقارها إلى الموارد الماليّة.

(١) قرية ذي الكفل: بلدة صغيرة، وهي مركز ناحية الكفل، تابعة إدارياً إلى محافظة بابل (الحلة)، تقع في منتصف الطريق بين الكوفة والحلة على الضفة الشرقية للفرات، تبعد عن الحلة بـ٣٠كم، وفيها مرقد النبي حزقيال المعروف بذي الكفل، ومسجد النخيلة الأثري.

(٢) الحلة: من مدن العراق الكبيرة التي أنشأها سيف الدولة المزيدي في منتصف القرن السادس الهجري، وهي مركز محافظة بابل، يتوسطها نهر الفرات المسمى محلياً باسم (نهر السبل)، تقع جنوب بغداد بمسافة ١٠٤ كيلومتر عنها..

(٣) مرقد نبي الله أيوب: يقع بالقرب من منطقة الرارنجية من جهة القبلة، على يسار الذاهب من الحلة إلى الكوفة، يبعد عن الحلة بمسافة ١١ كيلومتر، في الجانب الشرقي للفرات، فهو شرقي الحلة وغربي قرية ذي الكفل.

(٤) سورة ص ٣٨، الآية ٤٢.

قبر النبيّ شعيب (عليه السلام) ومسجده:

وهناك أيضاً خارج المدينة - وعلى الجانب الآخر منها - قبر النبيّ شعيب (على نبيّنا وعليه السلام)، وهو يبعد عن المدينة بمسافة مضمارَي فرس[5].

ويقع القبر في محراب مسجدٍ أسموه مسجد شعيب[6]. والملاحظ في بلاد الروم والشام أنّ قبور أكثر الأنبياء (عليهم السلام) متّصلة بمحاريب المساجد، كما سنتطرّق إلى ذلك في ما يأتي من رشحات القلم.

والعجيب أنّ الناس هنا مع سماعهم للحديث الشريف: «لعن اللّه اليهود والنصارى؛ اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[7] بنوا قبور أنبيائهم داخل هذه المساجد، بل وضعوها صوب القبلة.

وعلى أيّ حال، فإنّ ما يتبادر إلى عقلنا الناقص جواباً على هذه التساؤلات هو أنّ هذه المساجد ربما كانت في الماضي السحيق أديرةً وكنائس، وبعد انتصار الإسلام صارت مساجد، ثمّ لمّا حصل تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة صارت قبورهم بطرف القبلة.

وربما كان السبب كامناً في أمر آخر، حيث لم تسنح لنا فرصة الاستفسار من فضلاء تلك البِلاد عن هذا الأمر.

وصول محرّر هذه الأوراق والحكيم باشي إلى بلدة الحلّة، ووصف منارة مسجد النبيّ شعيب (عليه السلام) العجيبة:

وقد سمعنا قبل وصولنا إلى مدينة الحلّة من أهالي تلك الديار عن وجود منارةٍ في وسط صحن مسجد النبيّ شعيب (عليه السلام)، وأنّها من الضخامة والارتفاع في أقصى درجاتهما، حتّى أنّ عرض الدرج الذي بنوه في وسطها للصعود إلى أعلاها يبلغ ذراعاً وربع الذراع[8].

وممّا يقولونه عن هذه المنارة أنّ كلّ مَن صعد إلى أعلاها واحتضن قمّة المنارة وهزّها وصاح بصوت عالٍ: أيّتها المنارة، اهتزّي على حبّ العبّاس بن عليّ؛ استجابت المنارة بالاهتزاز.

ولمّا كنت أنا العبد العاصي منذ غابر الزمان ساعياً وراء مشاهدة مثل هذه الأُمور الغريبة وامتحانها، فقد عزمنا أنا والنوّاب الحكيم علوي خان على التوجّه لنيل سعادة زيارة

(٥) مضمار الفرس يساوي ربع فرسخ، فتكون المسافة بين القبر ومدينة الحلّة نصف فرسخ. المترجم

(٦) لم يطرق أسماعنا هذا القبر أو المسجد المسمى بمسجد شعيب ولعل الزائر سأل بعض العوام وأعلموه بما لم يكن صحيحاً.

(٧) الخلاف، ٤٩٧/١.

(٨) العبارة في الأصل هكذا: (يك ذرع و چهار گره)، والگره وحدة قياس للطول تعادل عشرة سانتيمترات، والقدماء يعادلونها بربع الچارك أو بقسمٍ من ستّة عشر قسماً من الذراع. (المترجم)

الضريح المنوّر لنبيّ اللّه شعيب (على نبيّنا وعليه السلام) والتحقّق من هذه الأُمور العجيبة.

وبعد تشرّفنا بالزيارة، صعدنا إلى أعلى المنارة، ورغم ارتفاع أصواتنا وصراخنا بالعبارات المعهودة، واحتضاننا لتاج المنارة وهزّها بكلّ ما نملك من القوى، إلاّ أنّها لم تحرّك ساكناً. وصادف أن كان عددٌ من السادة متواجدين هناك أيضاً، حيث قاموا بمثل ما قمنا به، إلاّ أنّ ذلك لم يجدِهِم نفعاً في تحريك المنارة رغم سعيهم الجادّ في سبيل ذلك.

وفي هذه الأثناء عثرنا على خادم ذلك المكان، فاحتضن تاج المنارة كذلك، وهزّها بكلّ ما لديه من القوّة، فما كان من تلك المنارة إلاّ أن تهتزّ على الرغم من استقرارها استقراراً لا نظير له إلاّ استقرار جبل بيستون، وقد كان اهتزازها من الشدّة بدرجة أرعبت جميع مَن كان على المنارة حتّى التصقوا بزخارفها التصاق القراد على هدفه خشية السقوط على الأرض.

وكان النوّاب الحكيم باشي في هذه الأثناء متواجداً في صحن المسجد، فلمّا شاهد ما شاهد من هذه الأحوال وكيفيّة تحرّك المنارة؛ ابتسم مندهشاً، وفي خاطره من التعجّب الشديد ما فيه، ورفعاً للشبهة والحيرة وزيادةً لليقين قام الخادم عدّة مرّات بتلبية طلباته المتكرّرة وهزّ المنارة كما تهتزّ أغصان الشجر.

العقل مندهشٌ من هذه اللعبة وسوى الحيرة لا ينفع معه

والقلب سقط في بحر الحيرة وخسر العقل من منبعه

وعلى أيّ حال تركنا الحلّة وراءنا واتّجهنا لزيارة حضرة النبيّ ذي الكفل[1] (على نبيّنا وعليه السلام)، وقد دُفن إلى جانبه أربعة من خلفائه أيضاً.

وتختلف مقبرة ذي الكفل عن بقيّة المقابر بغرابة أُسلوبها المعماريّ وتفرّده، من جهة ارتفاعها العالي وجذّابيّتها الملفتة للنظر. وينخفض صحن مسجد المزار عن سطح الأرض بأربع درجات، متى هبط الإنسان منها ودخل ذلك المكان الساحر جابهته المناظر المدهشة، خصوصاً غرف المعبد والمدفن التي تشبه في إشراقها - حتّى في وضح النهار - إشراق الصبح الصادق مع ما يثيره من غاية الانشراح.

دخول كاتب السطور إلى النجف الأشرف مدينة المرتضى (رضي الله عنه)، وصفات محلاّتها:

وخلاصة المطلب أنّنا بعد أن قطعنا المسافات، نزلنا في مدينة النجف الأشرف، وتكحّلت عيون قلوبنا العاشقة بترابها الطاهر، كحل الجواهر.

ألف شكرٍ للإله، مئة ألف شكر للإله

وعمران هذه المدينة السعيدة أقلّ من عمران كربلاء؛ لقلّة زرعها وبعدها عن النهر. أمّا أهلها فأكثرهم أُناس كرام صالحون قانعون. ولا يمكن المبيت أو السكن خارج سور المدينة؛ لاحتمال هجوم أعراب البادية في بعض الأحيان، حيث يحلّون بغتةً هناك لسلب المدينة. ومن هنا نرى صغار المدينة وكبارها اختاروا السكن داخلها والاحتماء بأسوارها.

وتبدو قبّة سيّد الأولياء وروضته رضي اللّه تعالى عنه وكرّم وجهه في أكمل أشكال عظمتها وزينتها شامخة في وسط المدينة، وقد نصبوا على ضريحه المنوّر الجواهر النفيسة.

تعمير نادر شاه[2] قبّتَي الروضتَين الشريفتَين لأمير المؤمنين عليّ المرتضى وسيّد الشهداء (رضي الله عنهما) وتذهيبهما:

في هذه الأثناء أصدر نادر شاه أمره بذهاب إبراهيم خان زرگر باشي إلى كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف والقيام بتذهيب قبّتَي مرقدَي سيّدَي الأوصياء والشهداء (رضي الله عنهما)، أي تذهيب الألواح النحاسيّة وتلميعها، ونصبها على الترتيب المعهود بنفس الطريقة المتّبعة في قبّة ضريح الإمام عليّ بن موسى الرضا (رضي الله عنه) في مشهد المقدّسة، وفي مساجد ظفر خان روشن الدولة في شاه جهان آباد كذلك. وإن كانت قبب مساجد ظفر خان بالأصل ليست بذلك الاستحكام الذي عليه قبّتا الإمامين العظيمين (رضوان اللّه تعالى عنهم أجمعين) اللتان هما في غاية الاستقامة والاستحكام.

وقد شرع زرگرباشي بتنفيذ الأمر المذكور - المتضمّن في الحقيقة مباهاة وتفاخر الآمر والمأمور - في فترة تواجدي هناك، وأنهاه بأحسن صورة مستعيناً بالإمدادات الغيبيّة لهذين الإمامين.

أمّا مسألة جلب ماء الفرات للنجف الأشرف فقد بذل فيها أيضاً جهوداً وافرة، إلاّ أنّه لم يكد يتمّ حفر ثلاثة فراسخ من النهر المذكور نحو المدينة حتّى قُتل نادر شاه، فتعطّل العمل بالمشروع المذكور. وكانت المسافة من النقطة التي شرعوا بالحفر فيها إلى النجف الأشرف تبلغ خمساً وثلاثين فرسخاً،

(١) مرقد ذي الكفل: يقع في ناحية الكفل (وقد مرّ التعريف بها) وله حرم وأروقة سميكة البناء، مرتفعة الدعائم، قديمة الإنشاء، تظل قبره قبة قديمة على الطراز السلجوقي، وقد تطوّر خلال السنوات الأخيرة وشمله الإعمار خصوصاً بعد سنة ٢٠٠٣م فأصبح آية في الإعمار التراثي، وبجنبه مسجد النخيلة الأثري، المشهور أنه الموضع الذي صلى فيه الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) عند خروجه إلى صفين. تعلوه منارة قديمة فخمة البناء.

(٢) نادرشاه الإفشاري: من ملوك إيران، تسلم السلطة بعد انقضاء العهد الصفوي، وكان تتويجه في ٨ رمضان ١١٤٨هـ قتل ليلة الأحد ١١ جمادى الآخرة ١١٦٠هـ وفي ترجمة حياته تفاصيل يمكن الوقوف عليها في (مستدركات أعيان الشيعة ١٨٩/٤-٢١٢ و٣٢٧/٧-٣٢٩).
وقد قام بتذهيب القبة والمئذنتين والإيوان الشرقي الكبير والحرم المطهر سنة ١١٥٦هـ

وكان من المقرّر تبطين الجدول المحفور بالأحجار والجصّ في المناطق التي تكون التربة فيها صلبة، أمّا إذا كانت رخوة وحصل فيها الانهيار فكان المقرّر تبطينها بالرصاص والنحاس لتدعيم قاع الجدول وجوانبه.

قبرا نبيّ اللّه نوح وأبو البشر آدم (عليهما السلام)[1]:

يعتقد الناس هناك أنّ قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) موجود تحت القبّة. ويقولون إنّ قبرَي النبيّ نوح وصفيّ اللّه آدم (على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام) موجودان تحت قبّة سيّد الأولياء (عليه السلام)، إلاّ أنّ مرقدَي هذين النبيّين العظيمين ليسا ظاهرين للعيان ولا مرتفعان عن سطح الأرض.

يقول الميرزا زكي - المتخلّص بـ (نديم)، حيث كان نديماً ومجالساً لنادر شاه - في هذا الباب:

أقول إن لم يكن في قولي تجاسرٌ

إنّ آدم أبو البشر مع كلّ تميّزه وفضله

إن لم يتكرّم بمجاورتك

فالظاهر أنّه لم يكن ليصير آدم

خصائص مدينة الكوفة ومسجد شهادة المرتضى (كرّم اللّه تعالى وجهه):

عندما كانت مدينة الكوفة عامرةً في الأزمنة الغابرة، كانت منطقة النجف من ضواحيها، وقد حفلت كتب التواريخ بالإشارة إلى عظمة عمران الكوفة وازدهارها. إلاّ أنّ قباحة وشؤم ما ارتكبه أهلها من الأعمال السيّئة جرّ عليها الويل والخراب حتّى لم يبقَ من آثار ذلك العمران شيء، سوى ذلك المسجد الذي جُرح فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، والمسافة بين مقتله ومدفنه فرسخٌ واحد، وقد كُتب في المحراب الذي ضُرب فيه الأمير بخطّ واضح: «هذا مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (كرّم اللّه وجهه)».

ويقال: إنّ باني هذا المسجد هو نبيّ اللّه نوح (عليه السلام)، والظاهر أنّه كان في السابق معبداً للأصنام، حيث يمكن مشاهدة نقوش أشكال وصور على أحجار جداره من جهة القبلة، وهو الجدار الوحيد الباقي من المنشآت القديمة، وإن كان المسلمون قد أخفوا نقوش تلك الأصنام بتغطيتها بالجصّ، إلاّ أنّ سقوط ذلك الجصّ في بعض المواضع بفعل تأثير الأمطار أعادها ظاهرةً جليّة للناظر، أمّا بقيّة الجدران فإنّها بعد اندثارها أُعيد تعميرها من جديد.

وعلى أيّ حال، فإنّ السبب في خراب الكوفة في الحقيقة هو أفعال سكّانها الذميمة، حيث تكرّر فيها وقوع المذابح العامّة عدّة مرّات من جهة، ومن جهة أُخرى - وهي الأهمّ - أنّ أبي جعفر المنصور الدوانيقي العبّاسي[2] حينما بنى بغداد جعلها عاصمةً له وداراً لخلافته ممّا آل إلى أُفول نجم الكوفة والمدائن[3]، وصارت دار السلام بغداد تمثّل السواد الأعظم لعراق العرب.

أمّا المسافة بين النجف الأشرف إلى المدينة المنوّرة عن طريق الصحراء -الذي جعلته زبيدة خاتون عامراً مزدهراً من خلال حفر الآبار ورفع الموانع-[4] فتبلغ مائة وثمانون فرسخاً، وإلى مكّة المعظّمة مئتان وثلاثون فرسخاً.

---

(١) من المشهور أن آدم ونوح(عليهما السلام) مدفونان في نفس ضريح الإمام علي(عليه السلام).

(٢) المنصور العباسي، أبو جعفر، عبد الله، محمد بن علي بن العباس ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدماً في الفلسفة والفلك، محباً للعلماء، ولد في الحميمة من أرض الشراة -قرب معان- وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ وهو باني مدينة (بغداد) أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ وجعلها دار ملكه بدلاً من (الهاشمية) التي بناها السفاح، ومن آثاره مدينة (المصيصة) (الرافقة) وزيادة في المسجد الحرام، وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول إسطرلاب في الإسلام، صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري، وكان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً، وكان أفحلهم شجاعة وحزماً، إلا أنه قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه، توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرماً بالحج، ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عاماً، كانت ولادته عام ٩٥هـ ووفاته ١٥٨هـ

«الأعلام للزركلي ٤/٢٥٩-٢٦٠»

(٣) المدائن: وهي مدن متصلة، فأولها المدينة العتيقة التي هي الزاب، ثم مدينة الإسكندر ثم طيسفون، ثم اسفانير، فسميت المدائن لذلك، وكانت سبعة مدن فتحها سعد بن أبي وقاص سنة ١٦هـ في زمن عمر بن الخطاب، وفيها بقايا آثار إيوان كسرى.

وهي بليدة صغيرة في الجانب الغربي من دجلة على بعد ٣٠كيلومتر من مدينة بغداد، ويقوم فيها مرقد سلمان المحمدي وحذيفة بن اليمان، وبالمشهدين يستوطن ناس مقيمون بها. وهي مركز ناحية تابع إدارياً إلى محافظة بغداد.

(٤) درب زبيدة: وهو طريق الحج القديم، ففي سنة ١٣٤هـ أمر أبو العباس السفاح بوضع ملامح على امتداد طريق الحج، وسجّلت على الدرب علامات الأميال، وارتفعت المنارات وأوقدت النار عليها ليلاً لهداية الحجيج في المسيرة بين الكوفة ومكة المكرمة. واستمرت فيما بعد أعمال الصيانة والتوسعة من قبل العباسيين وزوجاتهم، ومن أولئك السيدة زبيدة، فقد اهتمت بتوفير الماء على طول الدرب من خلال الآبار التي قامت بحفرها وبناء مصانع المياه.

وبداية الطريق هذا من الكوفة يتجه إلى جنوب غرب الكوفة ويلتقي بعدة طرق تصل بين العراق والعربية السعودية ماراً بمحطات عديدة ذكرها المؤرخون، خلاصتها كما يلي:

الكوفة، القادسية، العذيب، الغيثة، القرعاء، واقصة، العقبة، القاع، زبالة، الشقوق، البطان، الثعلبية، الخزيمية، الأجفر، فيد، توز، سميراء، الحاجر، النقرة، مغيثة الماوان، الربذة، الليلة، عمق، معدن بني سليم، الأفيعية، المسلح، غمره، ذات عرق، بستان ابن معمر، مكة المكرمة.

٢- رحلة سيف الدولة، الحاج سلطان عبد المحمد (حفيد فتح علي شاه القاجاري)

١٢٨٠هـ/١٨٦٣م

مقدمة:

صاحب الرحلة هو الحاج سلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة، وهو حفيد الشاه الإيراني فتح علي شاه القاجاري.

تولّى عدة مناصب في العهد القاجاري، حيث تولّى سنة ١٢٨٩هـ سدانة العتبة الرضوية في مدينة مشهد المقدسة، وحصل على لقب سيف الدولة سنة ١٢٩٩هـ وفي سنة ١٣٠٥ أصبح حاكماً على ملاير وتويسركان ونهاوند في عصر ناصر الدين شاه، وتعرض للعزل والاعتقال سنة ١٣٠٨هـ بسبب الظلم الذي مارسه ضد الفقراء في هذه المناطق التي كان حاكماً فيها، ولكن أطلق سراحه بعد فترة قليلة.

أما هذه الرحلة فهي رحلة شملت دولاً عديدة، ولم تختص بالعراق، فقد شملت القفقاز وتركيا والشام ومصر ومكة المكرمة ثم العتبات المقدسة في العراق، ومن العراق عاد إلى إيران.

كاتب الرحلة يدخل إلى العراق عن طريق الموصل قادماً من دياربكر، ولذلك فإن أول مدينة عراقية تحدث عنها كانت الموصل.

ومما يخصّ وصوله إلى الكوفة والنجف:

نص الرحلة

التنقيبات الأثرية:

ممّا لا شكّ فيه ولا ريب أنّ هذه المنطقة هي أرض بابل بلا خلاف، وهناك علامات أُخرى على ذلك تأتي الإشارة إليها في مكانها.

قام الإنكليز والفرنسيّون بحفرياتهم وتنقيباتهم في هذا التلّ وأطرافه، ولا يزالون مستمرين في عملهم هذا، وحصلوا على بعض الألواح الصخريّة المنقوشة أو المكتوبة بخطٍّ لا يمكن قراءته أو المحفور عليها بعض الأشكال الغريبة.

مغادرة ذي الكفل:

والخلاصة أنّ المسافر بعد مضيّ ساعتين من مغادرته ذي الكفل تلوح له القبّة المطهّرة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وبعد ساعتين أُخرى تصل الباخرة إلى شريعة الكوفة. أمّا بعد ساعةٍ من مغادرة الباخرة لذي الكفل فيرى الناظر إلى الضفة اليمنى للنهر بساتين تعود لأهل النجف، وقد مرّ على إحيائهم إيّاها عدّة سنين، وهي مقسّمة على عدّة قِطع. كما أنّ الضفة اليسرى للنهر على طول المسافة الممتدّة إلى شريعة الكوفة هي الأُخرى زاخرة بالبساتين العامرة الكثيرة.

بابل:

مدينة أثرية، لم يبق منها سوى خرائب وأطلال، أُجريت أعمال التنقيب والصيانة فيها خلال العقود الأخيرة، تقع على بعد ٩٥كيلومتر جنوب بغداد، ونحو خمسة كيلومترات شمال مدينة الحلة، على القرب من طريق بغداد - الحلة.

وهي اليوم اسم محافظة مركزها الحلة، تتبعها أقضية الحلة والهاشمية والمسيب والقاسم ونواحي عديدة، وهي من المحافظات المهمة في وسط العراق لموقعها وجذورها التأريخية.

قرية المچانيم[1]:

قرية من توابع الكوفة، تدعى (**مچانيم**)، غنيّة بكثرة فواكهها من عنبٍ وتين ورمّان، وسكّانها من العرب.

وأمّا شريعة الكوفة:

ففي وسط الماء بقعةٌ تدعى النبي يونس. يقول البعض إنّها مقام النبيّ يونس[2]، ويقول آخرون إنّها مدفنه.

أمّا ساكنو الشريعة نفسها فهم جماعة من العرب تدعى (المعدان) الذين يربّون الجاموس والماشية، وقد استوطنوا هذه المنطقة واستقرّوا فيها. وبيوت هؤلاء الناس مصنوعة من القصب والبردي، وهم يشربون القهوة العربيّة المركّزة جداً. وعلى ضفّتي النهر اليسرى واليمنى تنتشر البساتين الكثيرة المقسّمة على شكل قطعٍ مستطيلة.

مسجد الكوفة:

بين الشريعة ومسجد الكوفة مسيرة نصف ساعة. وهذه البادية تمتدّ طولاً بمقدار مسيرة أربع ساعات، وعرضاً ساعتين، وتنتشر في جميع الأرجاء علائم وآثار عمران مدينة الكوفة. أمّا الموجود حاليّاً فهو مسجد لا يزال جداره نفس الجدار القديم. ومساحة داخل المسجد مائة قدم في مائة قدم،

---

(١) قرية المچانيم: تقع على مسافة ١٠ كيلومتر تبعد عن الكوفة، بين جسر العباسيات والكوفة وتقطن فيها عشائر المچانيم وهم فرع من قبيلة بني حسن التي تتواجد في هذه المنطقة وما حولها.

(٢) مقام النبي يونس بن متى: وبجواره مسجد الحمراء وقد ورد أن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) قد صلى فيه، وهو مسجد أثري قديم يعود تأريخ تأسيسه إلى القرون الهجرية الأولى، وقد شيدته قبائل حمراء ديلم التي سكنت الكوفة في القرن الأول الهجري، وفيه مقام النبي يونس بن متى.
وقد ورد في عنوانه في بعض المصادر، مشهد، مقام، مرقد، مسجد، وأغلب الظن أنه الموضع الذي ألقته فيه الحوت، أما مرقده في الموصل في المكان الذي ينسب إليه وآثاره حتى الآن موجودة.
يقع هذا المقام على الجهة اليمنى من فرات الكوفة للقادم إلى الكوفة عن طريق النهر.

وقد بنى المرحوم بحر العلوم[1] في أطراف المسجد بعض الحجرات وإيواناً في جانب القبلة من المسجد. وفي أطراف المسجد وداخله تنتشر بعض المقامات.

وقد بنى عبد الرزّاق خان اليزدي كلّ مقامٍ من المقامات على هيئة المحراب من الطابوق، واضعاً في كلّ واحدٍ منه قطعة من الحجر المرمر مكتوبٌ على كلّ واحدٍ منها شرحاً لخصوصيّات ذلك المقام بخطّ الميرزا عبد العلي نوّاب.

ومن أعمال السيّد بحر العلوم أيضاً بناؤه الخان والحمّام على جانب المسجد قريباً من بابه[2]. كما أنّ المنارة[3] بناها قبل فترة الحاجّ أبو القاسم التاجر السمناني بطلبٍ من أحد الهنود، وكانت سبباً في تخريب القسم العلوي من بابٍ المسجد.

مرقد مسلم:

في الزاوية الشرقيّة للمسجد من جهة القبلة يقع قبر مسلم(عليه السلام)[4]. وكانت بعض الأموال قد جاءت من لكناهور [لكهنو]، فقام المرحوم الشيخ محمّد حسن[5] ببناء ضريحٍ بسيط لمسلم، وضريحٍ آخر في مقابله لبعضهم[6]، وصحنٍ واسع تنتشر الحجرات في جوانبه، وكان البناء سيّئاً جدّاً ولم يتمّه.

---

(١) السيد محمد مهدي ابن السيد مرتضى بن محمد بن عبد الكريم بن مراد بن شاه أسد الله بن جلال الدين بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل بن عباد بن أبي المكارم بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمد بن أحمد فتوح الدين بن محمد بن أحمد الرئيس بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب، الطباطبائي النجفي.

عالم، أديب، شاعر، ولد في كربلاء - العراق، ليلة الجمعة ١ شوال ١١٥٥هـ/١٧٤١م ونشأ بها في أحضان والده العالم الفقيه، وبعد أن تلقى دروسه الأولية وحضر السطوح على فضلاء عصره، والبحث الخارج في الأصول على والده والوحيد البهبهاني، والبحث الخارج في الفقه على الشيخ يوسف البحراني، انتقل إلى النجف سنة ١١٦٩هـ وحضر على بعض كبار علمائها كالشيخ مهدي الفتوني والشيخ محمد تقي الدورقي والشيخ محمد باقر الهزار جريبي وغيرهم، ثم آلت إليه الزعامة الدينية وأصبح من طليعة فقهاء عصره، تلمذ عليه جمع كبير من رواد العلم الذين كانوا فيما بعد من كبار مراجع الدين. وهو جد أسرة آل بحر العلوم.

توفي في رجب ١٣١٢هـ/١٧٩٧م ودفن إلى جنب مقبرة الشيخ الطوسي بالنجف.

له: المصابيح، والدرة النجفية، ومشكاة الهداية، وتحفة الكرام في تاريخ مكة والمسجد الحرام، ورسالة في العصير العنبي، وشرح باب الحقيقة والمجاز، وشرح جملة من أحاديث التهذيب، والفوائد الأصولية، ورسالة في تحريم العصير العنبي، ومناسك الحج والعمرة، وحكم قاصد الأربعة في السفر، وحاشية وشرح على طهارة الشرائع، والفوائد الرجالية، وقواعد أحكام الشكوك، وحاشية الذخيرة، وانفعال ماء القليل، والفرق والملل، وتحريم الفرار من الطاعون، والدرة البهية، والأطعمة والأشربة، وديوان شعر كبير، والإثناعشريات في المراثي - خ، وأصالة البراءة-خ، وتحفة العابدين-ط.

وللسيد ياسين الموسوي حياة العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم، في سيرته.

ترجمته في:

الفوائد الرجالية ١/المقدمة.. الذريعة ١١٣/١ و١٣٠ ثم ١١٦/٢ ثم ٤٦٢/٣ ثم ١٠٩/٨ حياة العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم ط بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. الأعلام ١١٣/٧١٨، معجم رجال الفكر والأدب ٢٠٩/١، معجم الشعراء للجبوري ٢٨٣/٥.

(٢) خان الوقف: يقع بجانب مسجد الكوفة من الجهة الغربية وهو على طوله، ويتألف من بناء مربع يتوسطه مدخل مقبي طوله ١٠ × ٦، على جانبيه مربط للخيل فيه عدة معالف، ويؤدي المجاز إلى فناء مكشوف تطل عليه عدة غرف على غرار غرف مسجد الكوفة السابقة، ويعد هذا الخان نموذجاً حياً لتطور بناء الخانات في العراق، وقد شيد لنزول زوار الكوفة وقاصديها في المناسبات الدينية.

وفي عام ١٣٢٥هـ تصدى السيد علي كمونة سادن الحرم العلوي آنذاك بتعميره وصيانته، وقد ساعده على بذل الأموال سيد شهم من أهالي البحرين، وقد تم بناؤه عام ١٣٢٧هـ

وقد هدم هذا الخان عام ١٣٨٣هـ وأزيل ودخل أكثره ضمن الشارع العام النجف - الكوفة.

(٣) شيدت هذه المئذنة عام ١٢٦٠هـ وقد قيل في تأريخها (علناً حي على خير العمل)، بجنب باب الثعبان، المدخل الرئيس لمسجد الكوفة في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد.

(٤) مرقد مسلم بن عقيل: في الضلع الشرقي لمسجد الكوفة باب يفضي إلى صحن الشهيدين مسلم بن عقيل وهاني بن عروة.

(٥) محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الملا عبد الرحيم ابن الآغا محمد الصغير ابن الآغا عبد الرحيم المعروف بالشريف الكبير الأصفهاني النجفي (صاحب الجواهر).

من أركان الطائفة الإمامية وفقهاء الإثني عشرية، وأعاظم علماء القرن الثالث عشر الهجري.

ولد سنة ١٢٠٢هـ نبغ في النجف وتوارث أبناؤه العلم والفضل والأدب والزعامة. تقدم المترجم له في العلم والفضل وانتهت إليه زعامة الشيعة ورئاسة الطائفة الإمامية في كافة الأقطار، ونهض بأعباء الخلافة وتكاليف الزعامة والإمامة. تخرج عليه فطاحل الفقهاء وعلماء الفقه والأصول، توفي في شعبان ١٢٦٦هـ والعقب منه: الشيخ محمد (حميد)، الشيخ إبراهيم، الشيخ باقر، الشيخ حسن، الشيخ حسين، الشيخ عبد الحسين، الشيخ عبد علي، الشيخ موسى.

له: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، نجاة العباد، هداية الناسكين، رسالة في المواريث.

ترجمته في: أعيان الشيعة ٢٧٧/٤٣، الذريعة ٢٧٥/٥ وج٥٩/٢٤ وج١٩٨/٢٥. روضات الجنان ٣٠٤/٢، ريحانة الأدب ٣٥٩/٣، شخصيت أنصاري/ ٢٧٩، شهداء الفضيلة/ ٢٥٠، فوائد الرضوية/ ٤٥٢، قصص العلماء/ ٧٢، كتابهاي عربي/ ٢٦١، الكرام البررة ٣١٠/١، المآثر والآثار/ ١٣٥، ماضي النجف ١٢٨/٢، مستدرك الوسائل ٣٩٧/٣، معجم المؤلفين ١٨١/٩، المطبوعات النجفية/ ١٤١، المؤلفين العراقيين ١٣٨/٣، نجوم السماء/ ٤٠٩، هدية الأحباب/ ١٧١، مكارم الآثار ١٨٢٦/٥، الكنى والألقاب ٦٨/٢، لباب الألقاب/ ٥٠، نزهة الناظرين/ ١٤٠، معجم رجال الفكر ٣٧١/١-٣٧٢.

(٦) يقصد مرقد الشهيد هاني بن عروة.

أمّا خارج المسجد من جهة الجنوب فهناك ضريح صغير مع ساحة على مسافة خمسمائة قدم، وفي الضريح حجرتان أو ثلاث تمّ بناؤها حديثاً، عدا الضريح نفسه حيث كان مبنيّاً منذ القديم. والمشهور أنّ بيوت أمير المؤمنين كانت في هذا المكان[1].

مسجد السهلة[2]:

على مسافة ساعة واحدة باتّجاه المغرب من مسجد الكوفة يقع مسجد السهلة. وكان في السابق على هيئة المربّع تحيط به الجدران، إلاّ أنّ الميرزا مسعود وزير خارجيّة المرحوم محمّد شاه بنى قبل فترةٍ قصيرة بعض الحجرات في أحد جوانب المسجد. ثمّ أضاف إليها المرحوم آصف الدولة[3] حاكم خراسان بعض الحجرات الأُخرى. أمّا الآن فقد بنى السيّد أسد اللّه ابن المرحوم الحاجّ السيّد باقر[4] حُجُرات أُخرى في الجانب الآخر من المسجد. وقد صار المسجد الآن جميلاً عامراً، يستطيع الناس المبيت فيه ليلاً.

يسكن الكوفة جماعة من المعدان، يشتغل بعضهم في نقل الأمتعة، وبعضهم في تربية الجاموس، وبعضٌ منهم يقومون بتلبية حاجات الناس بما لديهم من المقاهي العربيّة ودكاكين البقالة.

من الكوفة إلى النجف:

تبلغ المسافة من الكوفة إلى النجف حوالي مسيرة ساعة واحدة، بعد قطع السائر مسافة ربع ساعة يصل إلى نهر عميق

---

(١) يقع خلف مسجد الكوفة بجوار آثار قصر الإمارة، وقد تمت مؤخراً صيانته وتغليف جدرانه الداخلية والخارجية واستبدال أبوابه ونوافذه وتغليف القبة بقاشاني جديد.

(٢) مسجد السهلة: وهو مسجد القرى، أو المسجد البري، أو مسجد عبد القيس أو مسجد بني الظفر، وهو من المساجد التاريخية المقدسة، ليس هناك مصادر تاريخية تذكر بدلالة علمية قاطعة عن تأريخ تأسيسه والعمارات التي طرأت عليه، إلا أن كتب الحديث والأخبار أوردت نصوصاً كثيرة بشأنه، منها أنه بيت إبراهيم الخليل الذي خرج منه إلى حرب العمالقة باليمن، وأنه كان بيت إدريس الذي كان يخيط ويصلي فيه، وأنه مناخ الخضر(عليه السلام)، ومنه سار داود إلى طالوت... وغيرها من الأخبار والروايات، ومن خلال روايات أخرى كثيرة يمكن القول بأن كان مؤسساً قبل زمن خلافة الإمام علي بن أبي طالب في الكوفة (٣٥-٤٠هـ) ولكن هيكل البناء وهيئته تدل دلالة واضحة على أنه من منشآت القرن الأول الهجري، «مساجد الكوفة للجبوري ص١٤٤-١٤٦».

ويقع في الجهة الشمالية الغربية من مسجد الكوفة ويبعد عنه حوالي الكيلو مترين.

(٣) هو يحيى خان، آصف الدولة، وكان نيشابوري الأصل، لكنهوي المسكن والمدفن، وزير محمد شاه سلطان الهند، له آثار كبيرة منها نهر الهندية الذي لا يمحى على ممر السنين والحقب، ومنها رباط بناء للواردين لزيارة أئمة العراق، وله عليه أوقاف كثيرة، ومنها حسينية كبيرة قريبة من داره، شربوا الماء زلالا بعد شرب الآجنات وكتابخانة نفيسة فيها كتب ثمينة مخطوطة بالعربي والفارسي من سائر العلوم قديمه وحديثه. وفيها ثلثمائة مجلد وكلها بخطوط مؤلفيها. توفي سنة ١٢٢٠هـ (اشرب الماء الفرات) سنة ١٢٨٨هـ

«تحفة العالم للشوشتري ص٣٤٨»

(٤) السيد أسد الله ابن السيد محمد باقر ابن السيد محمد تقي الحسيني الموسوي الجلالي الرشتي الاصفهاني: سليل ساقي الناس من كوثر أجزل الله مدارجه الجواري متفق على أجلائه وإتقائه كان ورعاً تقياً زاهداً معرضاً عن الدنيا وعن منافسة الولاة في الرياسات، عظيماً نافذ القول في بلاد إيران كلها، وكان أبوه السيد محمد باقر من أجلاء علماء إيران.

خرج المترجم في حياة أبيه إلى النجف وتخرج بصاحب الجواهر وعاد إلى أصفهان وخرج إلى زيارة المشاهد المشرفة سنة ١٢٩٠ أو ١٢٩٢هـ فتوفي بطريقه في كرند ونقل إلى النجف ودفن في المشهد الشريف في الحجرة التي على يسار الخارج من الصحن الشريف من الباب القبلي مقابل قبر الشيخ مرتضى الأنصاري.

من آثاره إجراء ماء الفرات إلى النجف، فإنه بعدما زار النجف ورجع إلى بلاد إيران عزم على إتمام ما شرع به الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر كما يأتي وإيصال ماء الفرات إلى النجف واستحصل على المال من ثلث تركة السردار محمد إسماعيل خان النوري وكيل الملك -كما في المآثر والآثار-.

وفي مجموعة الشيبيي: «من ثلث مال إسماعيل خان والي كرمان» وهو ثلاثون ألف تومان.

وأرسل المهندسين وشرعوا في العمل سنة ١٢٨٢ وتم سنة ١٢٨٨هـ فحفرت آبار بين المكان الذي وصل إليه في عهد صاحب الجواهر وبين النجف في وسط النهر الذي كان حفره صاحب الجواهر ومر بها من قبلي النجف إلى جهة المغرب وذلك لأن حفر النهر إلى عمق يجري فيه الماء غير متيسر ولا ممكن كما مر وكان العزم عليه في زمن صاحب الجواهر غير مبني على فن وهندسة وبعد حفر هذه الآبار وصل بينها بقناة تحت الأرض، ثم ظهر أن تلك الآبار وكان عمقها زائداً عن اللازم فاحتاجوا إلى طم الزائد وأجري الماء في تلك القناة وجعل يصب في المكان المنخفض غربي النجف وعملت عليه رحى أرصد ريعها لإصلاح القناة، وبنيت هناك بركة يستقي منها السقاؤون، وبقيت الناس تنتفع بهذا الماء إلى سنة ١٣٠٧هـ وذلك نحو ١٩ سنة.

وأرخ الشعراء ذلك فقال الشيخ محمد ابن الشيخ كاظم الجزائري النجفي من قصيدة:

وقال المرزا محمد بن داود الهمداني صاحب فصوص اليواقيت في التواريخ المنظومة:

له عدة مؤلفات في الفقه الاستدلالي، وكتاب في الرجال، ورسالة في تجويد الحروف، وغير ذلك.

«أعيان الشيعة ٤٧/٥-٤٨»

عريض يقولون إنّه كان سابقاً خندقاً للكوفة[1]، فإذا عبره السائر جابه طريقاً رمليّاً مستوياً يميل للارتفاع، بنيت على جانبيه بعض الأبراج التي يستفاد منها في أوقات الاضطرابات حيث يجلس فيها المسلّحون بالبنادق لحماية المسافرين، كما يوجد في الطريق اثنان من آبار الماء وإحدى السقّايات.

مسجد الحنّانة[2]:

يوجد في الجانب الأيمن من الطريق قريباً من النجف وعلى إحدى الربوات مسجدٌ صغير يُعرف بمسجد الحنّانة، وعلى ربوةٍ أُخرى ضريح صغير بني حديثاً، وهو قبر كميل بن زياد[3].

(١) كري سعدة: أو خندق سابور، يشكل هذا الخندق الحد الفاصل بين الكوفة والنجف، ويزيد عمقه في بعض الأماكن على الخمسة أمتار، وبعضها أقل إلى أن يصل في بعض المناطق إلى مستوى الأرض المجاورة، وعلى جهتي الخندق كتفان ترابيان يمثلان خطاً ثانياً متوازياً.

ويبدأ هذا الخندق من جنوب مدينة (هيت) على الفرات بمسافة ١٧كم ويخترق البادية على طول الحدود الغربية لأراضي العراق السهلة وينتهي في البحر العربي قرب مصب (بوبيان) على ٢٠ ميلاً من شط العرب، ويعرج هذا الخندق بعد أن يمر من غرب الحبانية ماراً بجبل (سعدة) ثم وادي (أبو فروج) ثم إلى الجنوب الشرقي باتجاه (غدير المالح) ويسلك وادي (الغضاوي) ثم هور (أبي دبس) إلى جنوبه، ويمتد حتى يصل إلى آثار (قصر الخورنق) ثم ينحدر إلى الطرف الشرقي من بحر النجف ملازماً الضفة الغربية قرب الكوفة ثم يقطع المسافة إلى (هور الحمار) حيث ينتهي بالقرب من (جبل سنام) وكان يعرف في العهود القديمة بـ(أبا) أو (بلاكوباس).

ومما يذكر أن الشاه عباس الصفوي حاول في سنة ١١٢٢هـ بحفر جدول في هذا الخندق لإدخال الماء إلى مسجد الكوفة، ولازالت آثار القنطرة الآجرية باقية إلى هذا اليوم وسط هذا الخندق في شمال الكوفة على مسافة ٧كم.

«تاريخ الكوفة الحديث ١١٨/١-١١٩»

(٢) مسجد الحنانة: من المساجد المعظمة، كبير الشأن، يتبرك به ويقصده المجاورون والزائرون، وهو أحد الأماكن الثلاثة التي صلى فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق، وفي بعض الأخبار أنه موضع رأس الحسين(عليه السلام)، ويعرف قديماً بالقائم، وهو القائم المائل الذي انحنى حزناً وتأسفاً على الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) حين مروا بنعشه الطاهر إلى النجف، ويقع شمال غربي الكوفة على يمين الذاهب من الكوفة إلى النجف، وبالقرب منه الثوية، وقد مكث القائم المائل على انحنائه إلى أواخر القرن الثامن الهجري - «انظر مساجد الكوفة للجبوري ص١٧٦-١٨١».

(٣) مرقد كميل بن زياد: الصحابي الجليل، وهو مرقد معروف ومزار مشهور في النجف، يقع على يمين الذاهب من الكوفة إلى النجف الأشرف، وقد دخلت عليه في السنوات الأخيرة أعمال التوسعة، وصار مدفناً للكثير من العلماء والوجهاء.

وفي أوّل مدخل النجف توجد مقهىً أو مقهيان، وعلى الجانب الأيمن من الطريق يقع وادي السلام[4] خلف تلٍّ متّصل بسور المدينة.

النجف الأشرف:

تفصيل أوضاع وأحوال مدينة النجف والأبنية والأشياء المتعلّقة بأمير المؤمنين (صلوات اللّه وسلامه عليه).

النجف مدينة صغيرة، حرارة هوائها أشدّ من حرارة كربلاء وبغداد، لكنّه أنقى. تربتها يابسة جافّة رمليّة. وإذا حفروها قليلاً ظهرت الطبقة الصخريّة. ولمّا كانت قريبة من الماء صار هواؤها رطباً إلى حدٍّ ما.

والنجف في الحقيقة عبارة عن ميناء، إذ تحيط بها المياه من ثلاث جهات: شمالها وشرقها وجنوبها، عدا جانبها الغربي اليابس.

كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم المذحجي النخعي: كان من أخص أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام) وتلميذة وخريجه، وقد روى الحديث عنه وعن عبد الله بن مسعود، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي والعباس بن ذريح، وعبد الله بن يزيد الصهباني، وعبد الرحمن بن عابس، والأعمش وغيرهم، وكان كميل يعد من كبار علماء عصره ومن الحكماء المعدودين، يعتبره الفلاسفة في عداد عظمائهم، وتعتبره المتصوفة من مشايخهم، كان عابداً زاهداً شريفاً في قومه، مطاعاً، وهو من فرسان العراق المشهورين وشجعانهم الذين لا يشق لهم غبار.

قال ابن عمار: كان كميل من رؤساء الشيعة وقد أدرك من حياة النبي(صلى الله عليه وآله) ٨ سنوات ولم يصحبه، وقد ولاه أمير المؤمنين(عليه السلام) ولاية هيت وعانات وآمد وأعمالها فكان خير وال، وشهد حروب صفين، ولما ولي الحجاج العراق طلب كميلاً فهرب، فحرم الحجاج قومه -أي النخع- من العطاء، ولما سمع كميل ذلك خرج حتى قدم على الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحببت أن أجد إليك سبيلاً، فقال كميل، لا تصرر علي أنيابك وتهر علي فوالله ما بقي من عمري إلا كوائل الغبار فاقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، لقد خبرني مولاي أمير المؤمنين(عليه السلام) إنك قاتلي، فقال الحجاج: الحجة عليك إذاً، فقال كميل، ذاك إذاً كان القضاء إليك، قال الحجاج: بلى، وقد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، فأمر أصحابه قائلاً: اضربوا عنقه، فضربت، وقتل عليه رحمة الله ورضوانه «الإصابة ٣١٨/٣».

وقبر كميل معروف في الكوفة ويزار، وقبر السيد الطباطبائي بعيد عنه.

(٤) وادي السلام: أوسع مقابر العالم، وهي مقبرة النجف الكبرى، من أوسع المقابر في العالم، يعود تأريخها مع تأريخ مرقد الإمام علي(عليه السلام)، وتعتبر من أقدس الأماكن لدفن المسلم في نظر المسلمين عامة والشيعة منهم بشكل خاص، تقع في شمال مدينة النجف، وتمتاز تربتها بأنها رملية ناعمة نقية، وتحتها بحوالي ٢٠-٢٥سم طبقة صخرية متكونة من صخور رملية تسمح لحفر اللحود فيها بصورة عمودية، وتمتاز بالجفاف التام باعتبارها جزءاً من الهضبة الصحراوية الجافة، ولنقاوتها وجفافها فهي تكون خالية تماماً من العفونة ومن أية رائحة غير طيبة.

وتقع مدينة النجف على هضبة، توجد في جنوبها بحيرة[1] تردها المياه من نهر الفرات. والظاهر أنّ محيط هذه البحيرة يبلغ مسيرة خمسة عشر ساعة تقريباً.

ولمّا كانت مياه منطقة النجف راكدة كمياه البِرَك، وكان قاع البحيرة في الأصل مملحة، صار ماؤها مائلاً للملوحة، بينما تكون مياه الجانب الشرقي حلوة بسبب اتّصالها بمياه الشطّ وجريان التيّار فيها. ومن هنا يقوم أهلها بجلب مياه شربهم من الكوفة، بينما يأتون بالمياه لأغراض الطبخ والاستعمالات الأُخرى من البحر.

الزراعة والمحاصيل:

والأرض في منطقة البحر منخفضة عن مستوى أرض النجف، حيث يمكن للمشاهد من جهة البحر أن يرى ارتفاع أرض النجف التي تبدو كهضبة مرتفعة إلى جانب البحر. ويمتلك بعضهم بساتين عامرة بالقليل من نخيل التمر وأشجار العنب والرمّان والتين. والنجف تمتاز في الواقع بالخضرة حيث تأتيها الحبوب والخيار والباذنجان والباقلاّء من هذه البساتين. وكلّ أنواع خضرواتها جيّدة، خصوصاً الخسّ الذي يمتاز بطراوته ونعومته وحلاوته ومذاقه اللذيذ.

القرى ومحاصيلها:

تقع على أطراف هذا البحر قرىً كثيرة، من بينها الرحبة[2]، والعزّيّة[3]، والسماوة[4]، والجعارة[5]، وجميعها قرىً خصبة عامرة بالزراعة. ويمتاز بطّيخ الرحبة والعزّيّة بجودته الفائقة، حتّى إنّنا - كاتب هذه الحروف وكثيرٌ غيري - نعتقد بأنّ مَن يأتي ببذور البطّيخ كلّ عام من أصفهان لو أنّه رأى هذا الحَبّ لأقرّ بأفضليّته على ذاك. وهكذا الحال مع الرقّي الذي يمتاز بجودته هو أيضاً.

السماوة والجعارة:

أمّا أهل السماوة فهم مشهورون بحسن الطلعة في جميع العراق، وخصوصاً نساؤهم. والجعارة قريبة عامرة جدّاً، غنيّة ببساتينها ونخيلها الوافر وزراعة الحنطة والشعير والرز والقطن وأنواع أُخرى كثيرة. وأكثر ما تستهلكه النجف من المنتجات الزراعيّة - خصوصاً الفواكه - يأتي من الجعارة.

كثيراً ما يشاهد المرء ظهور أبنية من الجصّ والحجر والطابوق الكبير جدّاً أثناء قيام الأهالي بالحفر في أطراف البحر لأسباب مختلفة، وقد شاهدت بنفسي حجارةً ضخمة عظيمة القطر، ممّا يدلّ على كثرة العمران في أطراف البحر في العهود السابقة.

سور النجف:

أمّا قلعة النجف فبانيها هو المرحوم الحاجّ محمّد حسين خان الصدر الأصفهاني[6]، ورغم أنّها ليست واسعة جدّاً، إلاّ أنّ بناءها على درجة عالية من الإتقان، ومن آثار هذا الرجل بناؤه مدرسة ممتازة في المدينة، كما أنّ الباب الفضّيّة الكبيرة الجيّدة التي عند مدخل الرواق المبارك من جهة إيوان الذهب من أعماله الأُخرى أيضاً، رحمه اللّه، إذ كان إنساناً خيّراً.

العتبة العلوية:

وأوّل بناء للقبّة المباركة للإمام العظيم كان على يد آل

---

(١) بحر النجف: يقع عند حافة الهضبة الصحراوية في الجنوب الغربي لمدينة النجف منخفض يسمى (بحر النجف) أخذاً من اسمه التأريخي، تطل عليه النجف من موقعها العالي.
يشكل منظراً جميلاً، يمتد أمام المشاهد بساط من البساتين والمزروعات على ضفتي جدول صغير ممتد من نهر (أبو صخير) فرع الفرات، ولذلك فإن مياه هذا المنخفض في ازدياد في مواسم طغيان الفرات، وليس لهذه البحيرة شكل معين، لكنها تمتد بطولها حتى يبلغ محيطها ١٠٠كيلومتر تقريباً، وهناك ما يقرب من منتصفها ممر ضحل تستطيع الحيوانات اجتيازه خوضاً في المواسم التي يقل فيها ماء البحر الشديد الملوحة.

(٢) الرحبة: قرية، تبعد عن مدينة النجف بمسافة ٣٥ كيلومتر، تقع على طريق الحج البري، وفيها عين الرحبة وهي مصدر المياه فيها، تزرع فيها بعض المنتجات الزراعية والمحاصيل التي يتم تسويقها إلى النجف.

(٣) العزيّة: قرية تقع غرب مدينة النجف على بعد ١٨.٥ كيلومتر شرق قرية الرهيمة، وكانت في السابق قرية مأهولة بالسكان تعتمد عليها الرهيمة في اقتصادياتها، ولضعف عين العزية وموتها أدى إلى اندراسها.

(٤) لست أدري ماذا يقصد بالسماوات أو السماوة، فالسماوة تبعد عن النجف بمسافة ١٥٠ كيلومتر ولا يمكن اعتبارها من قرى النجف. ولعله يقصد ما يرد منها من المحاصيل.

(٥) الجعارة: اسم من أسماء مدينة الحيرة الأثرية (عاصمة المناذرة)، وهي مدينة صغيرة، ومركز ناحية تابعة لقضاء المناذرة (أبي صخير) تبعد عنها مسافة كيلومترين، وفيها بساتين ونخيل كثيرة، وتكثر فيها زراعة الحنطة والشعير والرز والقطن، وأكثر احتياجات النجف من المزروعات وخاصة الفواكه يتم تأمينها من الجعارة.

(٦) الحاج محمد حسين خان الأصفهاني كان يشغل منصب الصدارة للسلطان فتح علي شاه القاجاري وهو من أولي الخيرات وله آثار كثيرة في النجف منها: مدرسة الصدر والسور الأخير.
وذكر فرهاد ميرزا في كتابه الفارسي «جام جم» المطبوع أنه صرف في بناء السور مع المدرسة خمسة وتسعين ألف تومان من الذهب الأشرفي المثقالي وله الباب الفضي الأول في إيوان الذهب وله في إيران وباقي العتبات المقدسة آثار جليلة تقدر فتشكر. وكان سخياً جواداً محباً لأهل العلم والعلماء وهو جد الطائفة النجفية «آل نظام الدولة» فيهم الأدباء وأهل العلم. توفي سنة ١٢٣٩هـ ونقل إلى النجف ودفن في مقبرته التي أعدها لنفسه بإزاء مدرسته ورثته الشعراء بمراث كثيرة مدونة.
«ماضي النجف ١٢٨/١هـ»

بويه[1]، وقد أُزيلت في العهد الصفوي، وبني مكانها هذا البناء الحالي للضريح المبارك والصحن على يد الشاه عبّاس الصفوي[2] وتصميم الشيخ البهائي[3]، وهو بناء فائق الإتقان والجودة.

وأصل الضريح مربّع، قائم على أربع أُسس. والقبّة الشريفة أعلى من جميع الأماكن. وفي جوانب الضريح رواق، وهناك الصحن الشريف الذي يدور مدار ثلاثة جوانب من ذلك الرواق، أمّا الجانب الغربي فيفصل الرواق عن جدار الصحن ممرّ.

أمّا بناء الصحن فهو على شكل صفّين من الحجرات العلويّة والسفليّة.

والإيوان الكبير الواقع في وسط الجدار الشمالي باتّجاه

---

(١) آل بويه: وهم الأخوة الثلاثة من أبناء أبو شجاع وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو الحسن علي، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد، وكانوا ينسبون أنفسهم إلى ملوك إيران الغابرين.
مع بداية القرن الرابع ضعفت حكومة الخلفاء العباسيين كثيراً بحيث لم تبق عام ٣٢٥هـ آية منطقة بيد الخليفة سوى بغداد، وقد سقطت بيد آل بويه، واستمرت سلطتهم لأكثر من قرن ٣٣٤-٤٤٧هـ وكانوا أقوى حكام الدول الإسلامية.
وانتهى حكمهم بسيطرة السلاجقة على ممتلكاتهم ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ ومن أشهر رجال الدولة البويهية هو عضد الدولة، فقد شهد العراق له بإنجازات ضخمة في بغداد والعتبات المقدسة ومدنها.

(٢) الشاه عباس بن الشاه محمد خدابنده بن طهماسب: ولد ليلة الاثنين غرة رمضان سنة ٩٧٩هـ في هراة، وتوفي ليلة الخميس سنة ١٠٣٧. لهذا السلطان كثير من الخانات والقناطر والعمارات في العتبات المقدسة وغيرها، ومن إحدى حسناته نهر المكرية، وتنسب إليه حتى اليوم بعض الآبار في النجف فيقال: (بئر عباسية).

(٣) الشيخ محمد بن عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني، بهاء الدين العاملي. عالم إمامي، رياضي، فلكي، فقيه، مفسر، شاعر.
ولد ببعلبك سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٧م وانتقل به أبوه إلى فارس وأخذ عن والده وغيره من علماء كثيرين حتى أذعن له كل مناظر ومنابذ فلما اشتد كاهله، وصفت من العلم مناهله، ولي بها مشيخة الإسلام ثم رغب في السياحة ومحالفة الأسفار، فحج وزار قبر النبي وقضى نحو ثلاثين سنة في الأسفار، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل والعلم، ومن البلاد التي جابها مصر وألف بها كتاب الكشكول المشهور، وكان طيلة إقامته بمصر يجتمع بالعلامة محمد بن أبي الحسن البكري وكان البكري يبالغ في تعظيم البهائي فقال له البهائي مرة: «يا مولانا.. أنا درويش فقير فكيف تعظمني هذا التعظيم؟» فأجابه البكري: شممت منك رائحة الفضل.. ثم قدم القدس فكان فيها مبجلاً مقدراً ودرس هناك، ثم سار إلى دمشق ونزل هناك واجتمع به الحافظ الحسيني الكربلائي القزويني نزيل دمشق صاحب الروضات، والحسن البوريني العلامة الكبير وقد طار البوريني إعجاباً وإكباراً له بعد أن عرفه وكان يسمع به! وذهب إلى حلب وهناك توارد عليه أهل جبل عامل أفواجاً أفواجاً وذلك في زمن السلطان مراد بن سليم وهو في كل ذلك متكتم متنكر يحاول إخفاء أثره!! ثم خرج من حلب مسرعاً واستقر أخيراً في أصفهان في حاشية الشاه عباس وغالت الدولة في قيمته في عهد الشاه فكان لا يفارق السلطان سفراً وحضراً! وقصدته علماء الأمصار وكانت له دار مشيدة البناء رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والفقراء فيقوم بالإنفاق عليهم مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى وهو في كل ذلك يرجو أن يعود إلى سياحته فلم تسمح له الأيام حتى توفي في ١٢ شوال بأصفهان ١٠٣١هـ/١٦٢٢م ونقل إلى طوس فدفن بها في داره قريباً من الحضرة الرضوية.
قال المحبي في الخلاصة: «... وهو أحق من كل حقيق بذكر أخباره ونشر مزاياه وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه، وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم والتضلع بدقائق الفنون وما أظن الزمان سمح بمثله ولا جاد بندّه».

وقد ألف مؤلفات جليلة في التفسير والحديث والفقه وأصول الدين والفلك والحساب واللغة وغيرها ومؤلفات بالعشرات في سائر أنواع العلوم والفنون ومن هذه المؤلفات:
«الكشكول -ط» و«المخلاة-ط» وهما من كتب الأدب المرسلة، لا أبواب ولا فصول، و«العروة الوثقى» في التفسير، و«الفوائد الصمدية في علم العربية -خ» و«الحبل المتين -خ» في الحديث، طبع بعضه، و«أسرار البلاغة -ط» و«الزبدة» في الأصول، و«خلاصة في الحساب-ط» و«تشريح الأفلاك-ط» و«استفادة أنوار الكواكب من الشمس-خ» مقالة. وله رسائل وشعر كثير. وبالفارسية «نان وحلوى» أي خبز وحلوى، وهو نظم في التصوف، و«شير وشكر» أي لبن وسكر، نظم في التصوف أيضاً.
ترجمته في: أعلام العرب ٨٢/٣، وروضات الجنات ٥٣٢ وآداب اللغة ٣٢٨/٣ والذريعة ٢٩/٢، ٤٩٣-٤٩٤، ٣٥/٣ ثم ٢٤٠/٦ ونزهة الجليس ٢٤٩/١، الأعلام ١٠٢/٦، الفوائد الرضوية ٥٠٢/٢-٥٢٠، تاريخ علم الفلك ٢٩٦-٣٠٢، موسوعة المستشرقين ٦٣٢، معجم المطبوعات ١٢٦٣/٢-١٢٦٤، العلوم البحتة - الهيئة ٢٠١-٢٠٢، أمل الآمل ٢٦، خلاصة الأثر ٤٤٠/٣-٤٤٥، سلافة العصر ٢٨٩، لؤلؤة البحرين ص١٦، مستدرك الوسائل للنور ص٤١٧-٤٢١، أعيان الشيعة ١١٦/٤٤، الكواكب السائرة ٧٠/٣، ونزهة الجليس ٢٤٩/١، وكشف الظنون، تراث العرب ٤٨ حاشية (١) ٤٩ حاشية (٦) ٥٥-٥٧، ٦٣، رياضيات بهاء الدين العاملي -المقدمة ٧-٢٠، الشيخ أحمد بن علي الشهير بالمتين: شرح قصيدة الشيخ بهاء الدين العاملي - طبع مصر ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م، فهرس مخطوطات الظاهرية - هيئة ١٦-١٧، فهرس المخطوطات المصورة بمعهد التراث بحلب ٢٢٣-٢٤، فهرس مخطوطات أوقاف بغداد ١٠٣،١٠٥/٤، ١٢٧-١٢٨، ١٤٠، داوود الجلبي الموصلي: مختارات الموصف، فهرس أوقاف الموصل ٢٨٥/٦، فهرس مخطوطات الموصل ٢١٢، ٢٤٢، جولة في دور الكتب الأمريكية ٨٨، المكتبة البلدية - الإسكندرية - رياضيات ٨ - الفلك ٤١: منصور: فهرس مخطوطات حسن حسني - تونس ٣٨٥، ٣٩٣، الشنطي: المخطوطات العربية بالهند ١٢، د، حجي: فهرس الصبيحية بسلا - المغرب ٤٧٤، فهرس جامعة طهران ٨٣٣/٢/٣، فهرس المسجد الأحمدي - طنطا ١٣٥، بروكلمن ٤١٤/٢-٤١٥، الملحق ٥٩٥/٢، نللينو: علم الفلك ٣٩ وحاشية(٢)، ٤١ وحاية (٣) ٢٢٦-٢٢٧، سميث: تاريخ الرياضيات ٣٨٨/٢ وما بعدها، فانديك اكتفاء القنوع ٢٤٠-٢٤١، د، ششن: نوادر المخطوطات ٢٧٣/١، مجلة الصفر - نيقوسيا - قبرص: عدد تشرين الثاني ١٩٨٧م ص٦٥-٨٦، غازي أبو شقرا: بهاء الدين العاملي: الحساب علم يتعلم منه المجهول، أعلام الحضارة العربية الإسلامية ٢٢٥/٦، معجم الشعراء للجبوري ٤١٦/٤-٤١٨.

الجنوب، والمسجد الصغير الواقع خلف هذا الإيوان، والتكية[1] الواقعة في الجهة الغربيّة من الصحن والتي هي تحت تصرّف البكتاشيّين كلّها قام ببنائها آل بويه، وما عدا ذلك من أقسام الصحن فهو من عمل الصفويّين.

هناك إيوان أمام الضريح، وفي طرفَي الإيوان منارتان، والصخور المستعملة داخل الحرم والرواق - عدا صخور المرمر وصخور باقي أنحاء الصحن - جميعها من....

٣- رحلة السيد علي بن حسين بن السيد خيرات علي

(المنازل القمرية في السوانح السفرية)[2] ١٢٨٩هـ

مقدمة:

كتابات المسلمين الهنود من الشيعة والسنة في مجال (تدوين رحلات الحج) كثيرة جداً، وإحدى هذه الرحلات كتبت من قبل أحد الشيعة كما وإن لديه آثاراً أُخر وبالذات الخطية منها، وهي مفهرسة ونشرت تحت عنوان (فهرست النسخ الخطية) لكتب زنكي بور، مولانا سيد علي حسين - مولانا سيد محمّد إبراهيم.

وأما هذه الرحلة المسماة بـ(المنازل القمرية) فإنها أثرت عن هذا العالم الهندي الشيعي المذهب (السيد علي حسين) والذي كانت انطلاقته من بومباي متجهاً نحو البصرة ومنها إلى العتبات المقدسة، وبعد إقامة دامت عدّة أشهر، اتخذ طريقه من النجف إلى مكة عن طريق الجبل، قاصداً الحج، وبعد رجوعه إلى جوار العتبات المقدسة توجه من جديد إلى البصرة ومن هناك رجع إلى الهند ووجدت نسخة هذه الرحلة بين آثاره في المكتبة الخاصة به، والتي تحتوي على عدّة رسائل بعناوين (الياقوت الأحمر، مرآة الفضائل، الحجة البالغة في حجية ظواهر الكتاب، فائدة في مسألة عدم حضور أمير المؤمنين(عليه السلام) على جسد سيد الشهداء في كربلاء، السبيكة اللجينية من التربة الحسينية و...) أما تاريخ هذه الرحلة فهو كان في سنة ١٢٨٩-١٢٩٠ وكتبت مقدمة هذه المدوّنة في ذلك الوقت، وقد ذكر في موارد أخرى أنه رتبها بعد مرور ثلاث سنين من تاريخ الرحلة، وجاء في بعض مواضعها وصف لمحل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: كانت القبة مغطاة باللون الأخضر ومكتوب عليها بحروف ذهبية، لم يبق بذهني ما كتب عليها في ذلك الوقت.. وقد كتب السيد محمد حسين الحكيم في مقدّمة فهرسته: في الوقت الذي كانت فيه (زنكي بور) مملوءة بالعلماء والأفاضل، فإن المرحوم السيد علي حسين كان معروفاً (بالمولى الكبير) هنا، ومكتبته مشتملة على مختلف الكتب في العلوم والفنون المتنوعة، وكانت أيضاً تحتوي على كثير من الكتب القديمة والتالفة والخارجة عن حيّز الانتفاع.

نص الرحلة

المنزل السادس:

في بيان أحوال النجف الأشرف ومسجد الكوفة وأماكن أُخرى، ووقائع تلك المناطق والبقاع

وفيه مرحلتان:

المرحلة الأُولى:

بعد شهر ونصف من الإقامة في كربلاء المقدّسة، وطمعاً في الفوز بثواب زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) المخصوصة في السابع والعشرين من شهر رجب، عزمنا على السفر إلى النجف الأشرف برفقة السيّدة الجليلة.

وعلى هذا جمعنا المهمّ من لوازم السفر وشرعنا بالحركة. وكان تصميمنا أن نتّجه في هذه السفرة أوّلاً للتشرّف بزيارة مرقدَي السيّدين الحمزة[3] والقاسم[4] شقيق الإمام الرضا (عليه السلام)

---

(١) تكية البكتاشية: بناية أثرية فخمة على غرار أسس الصحن، فيها غرف وأواوين أعدّت للزائرين، وفيها قاعات للاجتماعات، وزوايا للمترهبين من المتصوفة للعبادة، تقع في الجهة الغربية للصحن الشريف، وبابها من أحد أواوين الصحن.

وتتكون التكية من قسمين رئيسين:

القسم الأول: خاص للصلاة والدروس الجماعية، وهو عبارة عن مربع مكوّن من أربع إيوانات متعامدة يشبه شكل المدارس الدينية ذات الإيوانات المتعامدة، يتوسطها صحن صغير مكشوف.

أما القسم الثاني: خاص بسكن المتصوّفين، وهو مربع الشكل كذلك، ويتكون من طابقين، كل طابق به مجموعة من الغرف وما يلزمها من دورات المياه.

وكانت لهذه التكية أوقاف خاصة كثيرة على ضفة نهر الهندية (الفرات) ضمن ناحية الكفل، وهي أرض زراعية تدرّ ثروة لا بأس بها، وعليها موكّل بالصرف.

والبكتاشية اسم لفرقة صوفية تركية تنسب إلى السيد محمد بن إبراهيم آقا، الشهير بالحاج بكتاش، وهو ولي تركي من أتباع الشيخ أحمد اليسوي، قدم إلى الأناضول من خراسان في القرن الثالث عشر للميلاد.

«مشهد الإمام علي في النجف ص١٥٧، ١٥٨»

وأقام مدة في النجف واعتكف في إحدى حجر الصحن، وبعد توسعة الصحن عمّر موضع ومعتكف بكتاش هذا تعميراً جيّداً فخماً، وجعلته البكتاشية من الأتراك «تكية» أي مقرّاً لهم في النجف. «تاريخ النجف الأشرف ٣٩١/١».

(٢) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان.

(٣) مرقد الحمزة الغربي(عليه السلام): أبو يعلى، الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) يقع قرب قرية (المزيدية) إحدى قرى الحلة الجنوبية عند قبائل البوسلطان. وهو مزار مشهور يقصده الزائرون من مختلف الأصقاع.

(٤) مرقد القاسم بن الكاظم(عليه السلام): يقع في منطقة (سورا) أسفل من الحلة المزيدية، وقد عمرت هذه المنطقة حول مرقده، وهي اليوم مركز قضاء ؟؟؟؟، تابع إدارياً لمحافظة بابل (الحلة) وقد طرأت على المرقد عمارات عديدة وما تزال مستمرة وحوله صحن كبير يحتوي على غرف وأواوين للزائرين وعليه شباك فضي فخم.

الواقعين على مقربة من طريق النجف، ثمّ نتّجه إلى النجف.

وهكذا تحرّكنا في يوم الأحد الثامن عشر من شهر رجب مع السيّدة الجليلة ومرافقيها ممتطين البغال وعليها المحامل والهوادج حتّى وصلنا مقام طويريج[1] الذي يبعد عن كربلاء المقدّسة أربعة فراسخ. إلاّ أنّ مغالطات وسوء سلوك الحاجّ عبّاس رئيس المكاريّة لم تدع لنا هذه الفرصة فعدنا من حيث أتينا، وقرب غروب الشمس من نفس هذا التاريخ تحرّكنا من طريق نهر الآصفي[2] الذي يطلق عليه في هذه النواحي اسم (الهنديّة) بسبب حفره بأمر آصف الدولة[3] حاكم الهند، وصعدنا في أحد القوارب العموميّة من التي يقال لها في تلك النواحي (طرّادة).

وصلنا إلى (مجدم) عند ضفّة النهر حيث ترسى القوارب حوالي الفجر، وقضينا نصف الليلة على سطح القارب. ولم نلبث إلاّ قليلاً حتّى بسطت أشعّة الشمس سجّادة نورها على الأرض، فلمّا حلّ صباح يوم الاثنين نزلنا مسرعين من على ظهر القارب، وصلّينا صلاة الفجر هناك، وتشرّفنا بزيارة قبر نبيّ اللّه يونس على نبيّنا وآله و(عليه السلام)، وهو قريب من ضفّة النهر.

ثمّ امتطينا رواحلنا المذكورة متّجهين إلى مسجد الكوفة الذي لا يبعد كثيراً عنّا، ووصلنا إليه مساء يوم الاثنين، وشرعنا في أداء أعمال المسجد طوال المدّة القليلة الباقية من ليلة الثلاثاء، حيث أدّينا كلّ ما هو مقرّر ومرسوم من الأعمال في هذه الأماكن المقدّسة، ملتزمين بتعليمات خدمة ذلك المكان المقدّس وتوجيهاتهم.

أمّا ليلة الأربعاء التي هي ليلة الأعمال المخصوصة بمسجد السهلة والتي يجب القيام بها بين المغربين، وحيث إنّ هذا المسجد لا يبعد كثيراً عن مسجد الكوفة إذ تبلغ المسافة بينهما حوالي النصف فرسخ تقريباً، فقد أدّينا صلاة المغرب في مسجد الكوفة ثمّ توجّهنا نحو مسجد السهلة. وكان انتهاؤنا من أداء أعمال المسجد حوالي منتصف تلك الليلة، وأعمال المسجد تتوزّع بين أركانه الأربعة وساحته وزيارة صاحب الأمر (عليه السلام)، ثمّ بتنا نصف الليل الثاني هناك، وبعد أدائنا صلاة الفجر قمنا بما يلزم من مراسم زيارة مسجدَي زيد[4] وصعصعة[5] ابنَي صوحان.

[**مسجد الكوفة**]:

مسجد الكوفة من المساجد العظيمة، يبلغ طول كلٍّ من ضلعيه الشمالي والجنوبي مائة وستّة عشر ذراعاً من الأذرع المعماريّة التي تساوي ما بين اليدين. وضلعيه الشرقي والغربي أربع وتسعون ذراعاً.

---

(١) طويريج: الاسم المحلي لمدينة الهندية، وهو تصغير لفظة (طويريق) أي طاروق أو مستطرق وتعني الطارق ليلاً، وهي مركز قضاء، يتبع اليوم محافظة كربلاء مدينة عامر يتوسطها نهر الهندية (الفرات) تقع غرب مدينة بغداد على مسافة ١١٠ كيلومتر عن الحلة، و٢٥ كيلومتر عن كربلاء.
كتب عنها د.فلاح محمود البياتي تأريخاً مفصلاً بثلاثة مجلدات تحت عنوان (مدينة الهندية - طويريج - نشأتها وتطورها الإداري).

(٢) نهر الآصفي (نهر الهندية): وهو المشروع الذي قام به آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي لإيصال الماء إلى مدينة النجف، وذلك بشق جدول يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات (بلدة المسيب) فيجري في اتجاه نهر الكوفة القديم، وقد عرف هذا الجدول بعد توسعه بنهر الهندية.
وقد شرع بحفر نهر الهندية سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م وتم العمل وجرى الماء فيه سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.
وما زال النهر مستمراً بعطائه، وهو شط الكوفة اليوم نفسه.

(٣) آصف الدولة: مرت ترجمته.

(٤) مسجد زيد بن صوحان بن حجر العبدي: صاحب الإمام علي(عليه السلام)، يقع في الجهة الجنوبية من مسجد السهلة، على يسار طريق الكوفة - مسجد السهلة، وطريق النجف - مسجد السهلة وقد ورد في فضل المسجد روايات عديدة، تستحب فيه الصلاة والدعاء، وله أعمال ومراسيم خاصة.
وهو عبارة عن بناية طولها ٢٠ متراً وعرضها ١٠ أمتار وارتفاعها ٣ أمتار، وله طارمة ومحراب للصلاة، وجرى مؤخراً توسيع المسجد وإعادة بنائه بصورة فخمة.
وزيد بن صوحان بن حجر العبدي، من بني عبد القيس، من ربيعة، من أهل الكوفة، روى الحديث عن عمر وعلي، وكان أحد الشجعان الرؤساء، ومن وجوه الشيعة، وهو معدود في الأبدال، وكان من أخص أصحاب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وكان هو وأخواه صعصعة وسيحان من شجعان الفتوحات الإسلامية، وذوي البلاء، قطعت يده اليمنى -وقيل اليسرى- يوم نهاوند، واشتركوا في الحركات الإصلاحية والمطالبات الاجتماعية العادلة في زمن عثمان، وشهدوا حرب الجمل حيث استشهد زيد وكان عام ٣٦هـ (عن: مساجد الكوفة للجبوري ص١٦٩).

(٥) مسجد صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي: صاحب الإمام علي(عليه السلام)، من المساجد المباركة التي ورد في فضلها روايات عديدة واستحباب الصلاة والدعاء فيها.
يقع في الجانب الشرقي من مسجد السهلة على يمين الذاهب إليه من مسجد الكوفة، يحتل مساحة طولها ١٥متر وعرضها ١٠ أمتار، ويرتفع بناؤه ٣ أمتار، وله طارمة ومحراب للصلاة.
وقد جرى مؤخراً توسيعه وإعادة بنائه وفق أحدث التصاميم الهندسية.
وصعصعة من سادات عبد القيس، ومن أصحاب الخطط في الكوفة، كان خطيباً، ومن أصحاب الإمام علي(عليه السلام)، وقد شهد معه الجمل هو وأخواه زيد وسيحان ابنا صوحان، وقد روى صعصعة عن علي وعن عبد الله بن عباس كان لسناً ديناً فاضلاً بليغاً، وقد حضر صعصعة تشييع جثمان الإمام علي(عليه السلام) ليلاً من الكوفة إلى النجف، ولما لحد الإمام وقف صعصعة على قبره الشريف، وأخذ كفاً من التراب فأهاله على رأسه وأبْن الإمام، فأبكى كل من كان معه وفيهم الإمامان الحسنان(عليهما السلام) والعباس ومحمد بن الحنفية وغيرهم، ولما انتهى صعصعة من خطبته عدل الحاضرون إلى الإمامين الحسنين فعزّوهم في أبيهم وعادوا جميعاً إلى الكوفة، وقد نفاه المغيرة بن شعبة الثقفي بأمر معاوية من الكوفة إلى جزيرة (أوال) في البحرين، وقيل إلى جزيرة (ابن كافان) فمات بها بنحو عام ٦٠هـ كما مات أبو ذر من قبله في الربذة، (عن: مساجد الكوفة للجبوري ص١٦٣-١٦٥).

أمّا غرفه الخارجيّة فهي عبارة عن حجرات متّصلة بالجدار الخارجي، الواحدة منها مربّعة الشكل وطول كلّ ضلع من أضلاعها ثمانية أذرع.

اتّجاه القبلة نحو الجهة الجنوبيّة من المسجد، والمسجد الأصلي ومصلّى أمير المؤمنين (عليه السلام) يقع في هذه الجهة التي تضمّ سبعة عشر إيواناً، مساحة كلّ محراب خمسة أذرع ونصف الذراع.

أمّا جهة الشمال التي هي جهة باب الفيل ففيها تسعة عشر محراباً، أمّا الجانبَان الشرقي والغربي فيحتضن كلّ واحدٍ منهما واحداً وعشرين إيواناً.

وتتناثر في صحن المسجد وجوانبه المختلفة مصلّيات بعض الأنبياء وأئمّة الهدى (عليهم السلام)، كمصلّى سيّدنا الخضر ونبيّ اللّه إبراهيم والنبيّ يونس[1] والإمام زين العابدين والإمام جعفر الصادق (عليهما السلام).

وهناك ألواح صخريّة منصوبة في مقام جبرئيل وبيت الطشت ودكّة القضاء ومدخل وحائط كلّ مصلّى، عليها كتابات تبيّن فضيلة الصلاة في ذلك المكان وكيفيّاتها. أمّا هيئة المصلّى على الغالب فهو على شكل دكّة فسيحة مرتفعة بعض الشيء عن ما يحاذيها، يقابلها جدار من جهة القبلة مبنيٌّ على هيئة المحراب.

أمّا مصلّى أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان في الأصل في صالة المسجد، وقد بنوا محراباً في موضع ضربته، ويقولون إنّ القسم الأسفل من الحائط الجنوبي لصالة المسجد هذه - أي من مستوى الأرض إلى ارتفاع ذراع أو أكثر - هو في الأصل نفس ذلك الجدار الذي بناه يونس[2].

وتوجد في صحن المسجد آثار تنّور هو ذلك التنّور الذي تفجّرت منه المياه في زمان النبيّ نوح (عليه السلام) والذي أشار إليه اللّه الحميد في قرآنه المجيد الذي لا يأتيه الباطل: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[3].

وفي الزاوية الشرقيّة من المسجد يقع قبر مسلم بن عقيل، في حين يقع قبر هاني بن عروة في الجانب المقابل له.

ويوجد خارج مسجد السهلة[4] صحنٌ صغير يحتوي على صالة، وفي هذه الصالة ثلاثة أحواض متّصلة ببعضها. وفي الجانب الآخر بيت الخلاء وهو واسع ومتعدّد وخارجٌ عن حدود المسجد إلاّ أنّه متّصلٌ به.

أمّا بيت أمير المؤمنين والحسنين[5] (عليهما السلام) فهو بيت لطيف يسرّ الناظر، يغطّي السقف نصفه.

كما يوجد خارج المسجد قبر خديجة[6] ونبيّ اللّه إبراهيم[7] (عليه السلام)، إضافةً إلى منزل للزوّار مشهور لدى الناس أنّه مسجد إلاّ أنّه ليس كذلك ولا تنطبق عليه أحكام المساجد.

وعلى بعد ربع فرسخ من مسجد الكوفة يوجد قبر ميثم التمّار[8]، أحد أصحاب الرسول المختار.

يقوم الباعة بجلب الموادّ الغذائيّة كالخبز واللحم واللبن والخيار والرقّي والتمر من النجف الأشرف أملاً في بيعها للزوّار.

وقد تشرّف مؤلّف هذه الرسالة مرّتين بزيارة هذا المسجد، وسنشير في ما بعد إلى هذه الزيارة الثانية، كما أنّ اللّه تعالى قد مَنّ عليّ بفضله وحسن توفيقه للتشرّف بزيارة

---

(١) هذا وهم، فلم يكن في مسجد الكوفة مقام للنبي يونس، ولم يرد ذكره من قبل في أي مصدر أو رواية.

(٢) لا ندري من هو يونس؟ ولعل هذا وهم من قبل صاحب الرحلة.

(٣) سورة هود ١١، الآية ٤٠؛ وسورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٢٧.

(٤) هكذا في النسخة، والظاهر أنّ الصحيح هو مسجد الكوفة بقرينة المضمون والسياق. المترجم

(٥) بيت الإمام علي(عليه السلام): يقع في الجهة الخلفية لمسجد الكوفة، يبعد عنه بـ٨٥متر، بجوار آثار قصر الإمارة ملاصقاً لسوره الخارجي من الجهة الغربية.

وهو من الآثار الإسلامية المهمة، ويحتوي على غرف وأواوين صغيرة، ومن جهته الغربية ممراً (دهليزاً) يفضي إلى غرفة المغتسل حيث غسل الإمام الحسن(عليه السلام) أباه في ٢١ رمضان سنة ٤٠هـ وإلى جنب هذه الغرفة عدة غرف، تعلوه قبة مشيدة قد كسيت بالقاشاني الأزرق.

وقد تسالمته الأيدي وتعاهدته بالعمران والصيانة من جيل إلى آخر.

وفي السنين الأخيرة تمت صيانة وتغليف جدرانه الداخلية والخارجية واستبدال أبوابه ونوافذه، وتغليف القبة بقاشاني جديد.

(٦) مزار السيدة خديجة بنت الإمام علي(عليه السلام): هكذا اشتهر بين الناس، والواقع من خلال النصوص التأريخية أنه مزار بعض بنات الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام).

يقع المرقد في الجهة الشمالية المقابلة لباب الثعبان، المدخل الرئيس لمسجد الكوفة. وهو قبة ثمانية الأضلاع، وعلى القبر شباك خشبي أحيط الجميع بجدران يحيط به.

وفي السنين الأخيرة أحيط به ساحة كبيرة وحديقة واسعة، ذهب جزء منها في الشارع المؤدي من النجف إلى الكوفة وما زال مشروع توسعته وترميمه مستمراً حتى الآن.

(٧) لا وجود لهذا القبر في السابق واللاحق، ولعله مرقد السيد إبراهيم الغمر، وتصوّر الرحلاة أنه نبي الله إبراهيم!

(٨) مرقد ميثم بن يحيى التمار النهرواني: يقع غربي مسجد الكوفة وعلى مقربة منه، على الجهة اليسرى من طريق الكوفة - النجف، ويبعد عن المسجد بمسافة كيلومتر واحد تقريباً، وقد مرّ بمراحل عديدة من الإعمار والصيانة آخرها هدم البناء القديم بالكامل مع المحافظة على الضريح، وتم توسيع القبة وتشييد منارتين وتغليف الجدران الداخلية والخارجية بالكاشي الكربلائي وبناء الأواوين الخارجية وغيرها.

المسجد الحرام ومسجد النبيّ أيضاً، لكنّي لم ألمس ما لمسته في مسجد الكوفة هذا من الإقبال والانشراح والخلوص ورجوع النفس إلى اللّه في أيّ مسجدٍ آخر غيره.

إنّ القلب لَيهتزّ قرب الفجر عندما يسمع مناجاة صلاة الوتر التي يردّدها ذلك الشخص الذي يترنّم بكلمة (مولاي مولاي)، وتتملّكه حالة تتجسّد أمامه فيها صورة ذلك العبد الذليل الذي أحضروه أمام الربّ الجليل فشرع بمخاطبته.

ويُعلم فضل مسجد الكوفة ممّا يُنقل عن الميرزا أبو تراب المعروف بالميرزا أغا القزويني الذي سكن هذا المسجد مدّةً من الزمن، حيث يشير إلى أنّه محلّ خيرٍ وبركة ومقام ظهور أُمورٍ عجيبة وتأييدات غريبة.

نسأل الحقّ تعالى أن يوفّقنا مرّةً أُخرى أن نخطو خطوات العاجزين على تلك الأرض المقدّسة، وأن نمدّ يد العوز إلى ساحته المقدّسة.

أمّا مسجد السهلة فهو أصغر من مسجد الكوفة، كما أنّ مساحة مسجدَي زيد وصعصعة لا تزيد عن مساحة محراب مسجد الكوفة. وبين مسجد السهلة والنجف الأشرف يقع مسجد الحنّانة وقبر كميل بن زياد.

المرحلة الثانية [وصف حرم أمير المؤمنين]:

لمّا انتهينا صباح الأربعاء من أعمال مسجدَي زيد وصعصعة، ركبنا رواحلنا واتّجهنا نحو النجف الأشرف الذي يبعد عن مسجد الكوفة حوالي الفرسخ ونصف الفرسخ.

وكان السيّد محمود ابن السيّد جعفر الخرسان النجفي - الذي كانت له سابق معرفة بالسيّدة الجليلة حيث كانت هي وزوجها مراد [ميرزا] إقبال قد نزلا في زمنٍ سابق في بيته وهو الذي كان يتولّى تلاوة الزيارات أمامهم - قد أسرع في المجيء إلينا عند إقامتنا في كربلاء فور سماعه خبر عزيمتنا زيارة النجف الأشرف، آملاً في استثمار ما له من السابقيّة للفوز بمرافقتنا وأداء واجب الخدمة وتلقين الزيارة واستضافتنا في منزله.

لكنّ الخادم الكربلائي السيّد محمّد يوسف كان يلتمس نزولنا لدى السيّد علي كمّونة، وذلك لما تربطه به من علاقة، حيث إنّه كان قد عقد معه صيغة الأُخوّة مضافاً إلى غير ذلك من العلاقات.

كما أنّ (تاجدار بهو) الذي تربطه بالسيّدة الجليلة صلات وعلاقات خاصّة، ومزوّره هو الشيخ سلمان شمسة خادم النجف الأشرف، اقترح النزول بمنزل الأخير وقراءة الزيارة خلفه، آملاً من ذلك استفادة صاحبه.

وهكذا كثر القيل والقال في هذه المسألة، حتّى انتهى الأمر بالشيخ سلمان شمسة إلى مراعاة القاعدة المتعارف عليها بين الخدم من احترام الأقدميّة، فتنازل عن حقّه للسيّد محمود مراعاةً لأقدميّته.

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر رجب وصلنا إلى النجف الأشرف في الصباح تقريباً ونزلنا في بيت السيّد محمود. وبعد أداء صلاتَي المغربين تشرّفنا بزيارة إمام المشرقين في تلك الليلة التي كانت ليلة الخميس، وزرنا ذلك الإمام الهمام خلف السيّد محمود مراعين جميع مستلزمات وآداب الزيارة. وقد تكرّرت الزيارة يوم الخميس وجميع أيّام إقامتنا هناك.

وقد ذهبنا عصر يوم الخميس أيضاً إلى وادي السلام، وهو عبارة عن صحراء واسعة تغمرها السكينة، فيها قبور النبيَّين هودٍ وصالح[1]، ومقام زيارة صاحب الأمر[2] (عليه السلام)، إضافة إلى مراقد المؤمنين هناك، فتشرّفنا بزيارتهم جميعاً.

وهناك بحثنا عن درّ النجف ولم نعثر له على أثر، فاشترينا بعض الفصوص من أحد الدفّانين الذي ادّعى أنّه عثر عليها وعلى أمثالها في هذا الوادي حين حفره للقبور، لكنّا اكتشفنا بعد ذلك عدم إمكان الاعتماد على كلامه والوثوق بادّعائه، إذ غالباً ما يأتون بمثلها من شطّ الفرات ويبيعونها على أنّها درّ النجف.

عند مجيء الزوّار من كربلاء المقدّسة إلى النجف الأشرف فإنّ أوّل منطقة تقابلهم هي وادي السلام الذي لا يبعد كثيراً عن المدينة، ثمّ يصلون إلى أحد الميادين، وبعده تبدأ محلّات المدينة وأسواقها التي تُعرض فيها لوازم الناس واحتياجاتهم، حتّى يتشرّف الزائر بالعتبة العلويّة المباركة.

وجدار صحن الروضة فيه أربعة أبواب: باب القبلة من جهة الجنوب، وباب الطوسي من الشمال، وباب الفرج من جهة الغرب، وباب المراد من جهة الشرق. وعلى امتداد هذا الجدار من الداخل تقع غرف الصحن إحداها إلى جانب الأُخرى، وهي موقوفة على الأُمراء والرؤساء. وهناك سرداب أسفل الصحن يستعمل لدفن الموتى من الغرباء.

---

(١) مرقد هود وصالح: يقع في وادي السلام - مقبرة النجف الأشرف - خلف سور المدينة القديمة في الشمال الشرقي، وهو حرم واحد عليه قبة متوسطة الحجم والارتفاع، فرشت بالقاشاني الأزرق، وكان أمام قبريهما صحن دار صغير فيه نخلة.

وقد شمله التوسيع والتعمير والصيانة وما زال إلى يومنا هذا.

(٢) مقام الإمام المهدي(عج): يقع في الجانب الغربي من النجف، وأول من بناه هو السيد محمد مهدي بحر العلوم، تم هدمه في سنة ١٣١٠هـ وتوالت عليه أعمال الصيانة والترميم حتى يومنا هذا، وفي داخل المقام مقام للإمام الصادق(عليه السلام).

أمّا قبّة ورواق وأبواب وجدران الروضة المنوّرة فهي مزيّنة بمختلف أنواع التزيين من تذهيب وتزجيج، وعلى جدران الحرم الداخليّة كُتبت الآيات القرآنيّة والزّيارات بماء الذهب.

ولمّا تشرّف ناصر الدين شاه سلطان العجم[1] (خلّد اللّه ملكه) بزيارة سلطان العرب والعجم أنزل صرّة مليئة بالجواهر الباهرة من فوق رأسه ووضعها في محلّ مرتفع فوق موضع رأس الإمام، ثمّ أرسل من إيران ستارتين مرصّعتين باللؤلؤ والأحجار الكريمة كي تعلّق في الجهة المقابلة للرأس المبارك.

ويقال إنّ الجواهر الموجودة في داخل الضريح المبارك كثيرة جدّاً. كما يقولون إنّ آثار إصبعَي الإمام المباركين اللذين قتل بهما مرّة بن قيس[2] لا تزال موجودة ظاهرة للعيان على الضريح المبارك، وقد علّقوا الجواهر في ذلك المقام، ويقوم خَدَمَة الروضة بإلفات أنظار الزوّار لمشاهدة ذلك الموضع.

٤- رحلة الميرزا عبد المجيد محمود بن عبد الكريم السقزي المجدي

(رحلة مكة والعتبات)[3] ١٣٠٥هـ

مقدمة:

هذه الرحلة من الرحلات المرموقة في العهد القاجاري ومن جهة أخرى فإنها تُعد جديدة علينا، لأنها كتبت بقلم أحد الكُرد من أصل فارسي، وهو أديب وشاعر من أهل السنّة، وفي نفس الوقت محب لأهل البيت (عليهم السلام) وكان عارفاً وصوفياً، كما جاء في النقل، وبعبارة أوضح كان سنيّاً إثنا عشرياً، ونسخة هذه الرحلة محفوظة برقم -٥١٢٤- في المكتبة الوطنية. وهذا التصحيح على أساس تلك النسخة. والكاتب هو عبد المجيد محمود بن ميرزا عبد الكريم سقزي، وعندما ذهب بهذه الرحلة كان عمرهُ ٣٦سنة واصطحب معه زوجته وابنه أبو سعيد البالغ من العمر ثلاث سنين مع لفيف من الزائرين.. ولد الكاتب سنة ١٢٦٨هـق في مدينة سقز وتوفي سنة ١٣٤٤هـق في ٢٦ ذي القعدة، ودفن في مقبرة آب أنباذ قاسم خان. وكان شاعراً مُجيداً كتب ما يقارب ١٠٠٠٠٠ بيت ويعرف أيضاً بمجدي، وبملك الكلام مجدي. وأما سفرته إلى الحج، والتي أخرجت لنا هذه المدوّنة فقد كانت سنة ١٣٠٥-١٣٠٦هـق ونظراً لطبيعة السفر آنذاك فقد كانت مدة السفرة ما يقارب العشرة أشهر ونيف، وكان لهُ أخ عمره ٢٨ سنة يعمل في جدّة ومكة، وقد استقبله لأول مرة في جدّة وأقام عنده طيلة أيام وجوده في مكّة، وقد فرح بلقائه، ورحلته تمت بعد أن جمع عدد أيامها منذ خروجه إلى حين عودته عشرة أشهر و١٨ يوماً، والطريق الذي اختاره، كان من كردستان، إلى زنجات، ومنها إلى أردبيل، وأستارا ثم عبر منها إلى روسيا بالقطار ثم عبر البحر الأسود بالسفينة إلى إسطنبول ومنها قصد جدّة ومكّة أيضاً عن طريق البحر. وبعدها ذهب إلى المدينة، ومن ميناء ينبع ذهب إلى جدّة، وأقام فيها شهرين بعد أن أتم مراسم العمرة قام بالسفر عن طريق البحر الأحمر باتجاه باب المندب، وعن طريق المحيط الهندي وبحر عمان فالخليج الفارسي، وصل إلى مدينة البصرة، وكانت عودته براً بعد أن مرّ بمدن عراقية مختلفة مثل بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وأكمل طريقه إلى قصر شيرين ومنها إلى كرمانشاه، وسنندج عائداً إلى وطنه.

نص الرحلة

ضريح النبي يونس:

يقع مدفن النبيّ يونس (عليه السلام) في الجانب الشرقي قريباً من مسجد الكوفة على ضفّة شطّ الفرات حيث يوجد له ضريح هناك.

وقد بدأ العمران يدبّ في أطراف هذا الضريح، حيث يسكن حوالي المائة عائلة في تلك المنطقة، وأسّسوا سوقاً لهم هناك أيضاً. ويقال إنّ من علامات آخر الزمان أن يبدأ الاستيطان والبناء في الكوفة وتشاد فيها العمارات.

وتكثر في كلا ضفّتي الفرات في منطقة الكوفة بساتين النخيل والأشجار ومختلف أنواع المزروعات.

الكوفة:

من توابع مدينة بابل، وبابل كانت أكبر مدينة على وجه الأرض. لا يزال الطلاقة [illegible] إلى الآن [illegible] ويقول الذين قاموا بقياس محيطها أنّه يبلغ عشرة فراسخ.

(١) ناصر الدين شاه (١٨٣١-١٨٩٦): رابع ملوك أسرة آل قاجار، تولى الحكم بعد وفاة والده محمد شاه سنة ١٨٤٨ إثر مرض عضال ألم به، اعتلى ناصر الدين العرش في السادسة أو السابعة عشرة من عمره وذلك في تشرين الأول من عام ١٨٤٨م كان الشعب الإيراني منقسماً على نفسه والدسائس الأجنبية تحيط به لإضعاف مركز إيران الدولية، تنازل ناصر الدين شاه عن الملاحة في بحر قزوين لروسيا القيصرية فكان قراره هذا دليلاً قاطعاً عن جهله بالسياسة وبمصالح الشعب الإيراني وعندما سألوه عن ذلك أجابهم بمقولة تنم عن جهله المطبق فقد قال: بأنهم ليسوا بطاً حتى يحتاجون إلى بحيرة مالحة وليس من المعقول أن نجعل مذاق جيراننا وأصدقائنا مراً من أجل مقدار من الماء المالح!! حكم إيران كأسلافه بطريقة استبدادية. اغتيل ناصر الدين شاه في الوقت الذي كان يتأهب فيه للاحتفال بالعيد الخمسين لحكمه وذلك يوم الجمعة (١٧ ذي القعدة ١٣١٢هـ/ الموافق ١ أيار ١٨٩٦م) بالرصاص على يد محمد رضا الكرماني. فخلفه ولده مظفر الدين شاه.

(٢) وهذه من المعاجز الخاصّة بالحرم العلوي المطهّر والتي نظم الشعراء قصّتها شعراً:

(٣) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان.

يمرّ شطّ الفرات وسط هذه المدينة، ولا تزال آثار وبقايا العمران القديم فيها باقية، تكثر فيها الأحجار المتناثرة التي يمكن الاستفادة منها في بناء العديد من المدن الضخمة.

وأكثر أبنية النجف وسائر القصبات كالحلّة والسماوة تمّ بناؤها من أحجار هذه المدينة. وقد بلغت هذه المدينة ذروة ازدهارها في فترة سلطنة سميرأميس ملكة بابل. ويقع البئر الذي حُبس فيه هاروت وماروت في هذه المدينة، ولا يستطيع أحد الوصول إليه.

الأربعاء ٢١ جمادى الأولى: رجعنا من النجف ووصلنا كربلاء بعد يومين أو ثلاثة، وبقينا هناك يومين.

السبت ٢٤ جمادى الأولى: خرجنا من كربلاء ووصلنا بغداد يوم الاثنين ٢٦ من ذلك الشهر، وأقمنا هناك للمرّة الثانية خمسة أيّام قضيناها بالزيارة والتجوال.

٥- رحلة السيدة العلوية الكرماني

(يوميات رحلة الحج والعتبات والبلاط الناصري)[1] ١٣٠٩هـ

مقدمة:

كاتب هذه الرحلة هي السيدة العلوية (كرماني) ولم يتم العثور على أي معلومات عنها خارج نطاق هذه المدوّنة والتي لم نتعرف حتى على اسمها فيها (عدا اللقب) وقد سافرت مع عدد من المقربين لها وهم (ولي خان وزوجة ولي خان، امرأة باسم فاطمة، وجارية باسم تغافل) ولكل واحد من هؤلاء خاتمة أمر، ذكرتها الكاتبة في أثناء حديثها.

كان لديها نوع من الاضطراب والخوف طوال فترة السفر، ولم تكن تسيطر على نفسها لأن الظروف التي مرت بها كانت صعبة للغاية، من موت البعض من الذين كانوا برفقتها، إلى الصعوبات التي واجهتها على ظهر السفينة التي أقلتهم إلى بومباي، ومن ثم إلى جدّة، وقضت نصف وقت الرحلة في عدن (رهن الاحتجاز) وكثير من المسائل الأخرى. وخاصة وهي امرأة ولا طاقة لها على تحمل تلك الصعاب، فقد وقعت من على ظهر البعير عندما أرادت أن تحرم للحج، وبرأس مجروح ومعصوب، أدت مناسك الحج، وزيارة قبر الرسول (ﷺ) وأئمة البقيع(عليهم السلام)، وذهبت إلى العراق (عن طريق الجبل) ولكن لم تواجه إي صعوبة في الذهاب لزيارة العتبات ولكن خوفها كان يزداد كثيراً لقلّة الموارد المالية لديها، حتى عودتها إلى طهران عند ذلك ارتفع خوفها واضطرابها، وكانت تذكر ذلك كله في كتاباتها عن الرحلة هذه وما لاقته من مشاكل وصعوبات.

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان.

نص الرحلة

[الكوفة]:

توجّهنا عصراً نحو مسجد السهلة، وتمنّينا حينذاك حضور الأحبّة معنا، فركبنا حماراً دون سرجٍ ولا لجام. وبعد قطع مسافة فرسخ واحد وصلنا إلى مسجد السهلة عند الغروب. فابتدأنا بأداء صلاتَي المغرب والعشاء في دار نبيّ اللّه إبراهيم وأداء مراسم الزيارة، ثمّ أدّينا الأعمال المرسومة في بيت نبيّ اللّه إدريس، وبيت السيّد الخضر، ومقام الصالحين، ومقام السيّد السجّاد (عليه السلام)، ومقام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ثمّ ذهبت إلى منزل الحاجّ الآخوند وتناولت طعام العشاء ونمت.

استيقظنا مبكّرين صباح يوم الأربعاء التاسع والعشرون وصلّينا وذهبنا إلى مسجد زيد، ومنه إلى مسجد صعصعة حيث أدّينا مراسم زيارته.

ثمّ توجّهنا مشياً على الأقدام حتّى وصلنا ضفّة نهر الفرات. وكان في وسطه جزيرة تحيط بها المياه من هذا الجانب وذلك الجانب. وركبنا (الطرّادة) وذهبنا إلى داخل الجزيرة. تنتشر أشجار الصفصاف في أرجاء هذه الجزيرة، وقد جلسنا في ظلال إحداها حيث كان الهواء هناك منعشاً إلى حدٍّ كبير، أعاد إلى ذاكرتي منظر أشجار منطقة سر آسياب[2].

بقينا هناك إلى العصر حيث شاهدنا حوالي المائتين من العرب العراة حتّى من ورقة التوت وهم يتردّدون جيئةً وذهاباً مع طرّاداتهم، فكان ذلك منظراً مضحكاً جدّاً لذي المزاج الرائق، لكنّ مزاجي المتعكّر لم يُتح لي ذلك.

ولمّا كان مرقد النبي يونس قريباً فقد زرناه عصر ذلك اليوم. وقفلنا راجعين مشياً إلى مسجد الكوفة الذي وصلناه عند الغروب، فصلّينا المغرب والعشاء فيه. ثمّ شرعنا بأداء أعمال المسجد فبدأنا بمقام نبيّ اللّه إبراهيم (عليه السلام)، ومقام نبيّ اللّه آدم(عليه السلام)، ومقام رسول اللّه (ﷺ)، ومقام جبرائيل، ومقام الإمام السجّاد (عليه السلام)، ومقام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ومقام نبيّ اللّه نوح (عليه السلام)، ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومحلّ مقتل الأمير (عليه السلام)، ودكّة القضاء، وبيت الطشت، مؤدّين أعمال كلّ واحدٍ منها في مكانه. ثمّ قمنا بزيارة مسلم وهاني بن عروة، وفّقكم اللّه جميعاً للزيارة.

قضينا هذه الليلة في الكوفة، وكان الهواء فيها رائعاً غاية الروعة. أعتقد أنّ هذا المسجد يشبه مسجد ملك، إلاّ أنّه أصغر قليلاً. طوال الوقت لم أنسَ أحداً من الإخوان.

ذهبنا صباح يوم الخميس إلى بيت الإمام عليّ (عليه السلام)،

(٢) سر آسياب محلّة من محلاّت جنوب العاصمة الإيرانيّة طهران. (المترجم)

المكان الذي تمّ تغسيله فيه، والموضع الذي كُفّن فيه. كما زرنا المكان الذي كان الحسنان يدرسان فيه.

ثمّ ركبنا متّجهين إلى النجف الأشرف، وقرأنا الفاتحة أثناء المسير عند قبرَي كميل بن زياد وميثم التمّار، ثمّ تشرّفنا بالدخول إلى الروضة المطهّرة.

[كربلاء]:

تحرّكنا صباح الأربعاء سادس أيام الشهر، أينما يوجّه الناظر بصره طول المسير يميناً أو شمالاً لا يرى سوى الخضرة والحياة، حتّى وصلنا إحدى القرى، وهي قرية طويريج، وهي قرية عامرة. ثمّ غادرناها ووصلنا عصراً إلى [قرية] (حمد) فنزلنا وبِتنا تلك الليلة هناك.

لمّا حلّ الصباح ركبنا دابّةً كنّا قد استأجرناها وتحرّكنا باتّجاه كربلاء التي وصلناها ظهر يوم الخميس السابع من الشهر...

٦- رحلة الملا إبراهيم الكازروني (رحلة الحج)[1] ١٣١٥هـ

مقدمة:

كانت هذه الرحلة في سنة ١٣١٥-١٣١٦هـق وهي رحلة أحد الشيرازيين، والذي اختار لذهابه إلى الحج طريق العراق (حيث أن للشيرازيين في ذلك الوقت طريقان، طريق الجبل، وطريق السفر بالسفن وكان ذلك في القرن ١٨ الميلادي) ولأجل الذهاب إلى العراق ذهب إلى البصرة عن طريق البحر ومنها ذهب لزيارة العتبات المقدسة، وهذا الطريق كان معروفاً لدى الزوار آنذاك.

والرحلة كانت للملا محمد إبراهيم كازروني، من علماء شيراز في النصف الأول للقرن الرابع عشر الهجري، وقد كتب ابن يوسف الشيرازي بحقه أنه ولد في سنة ١٢٧٤ أو ١٢٧٥هـ وتوفي في الرابع من ربيع الثاني سنة ١٣٣٤هـ وله عدّة مؤلفات تم إيداعها مع مؤلفات ابن يوسف مجتمعة في مكتبة المرعشي النجفي (ويوجد فهرست بذلك).. وقد ذكر الكازروني في مدوّنته عن هذه الرحلة بعض الذين رافقوه فيها ولم يكونوا معروفين. إلا واحداً منهم وهو شخص معروف وقد تشرف بالحج معه في تلك السنة وهو المرحوم آية الله السيد عبد الحسين لاري، وقد ذكره بكل احترام، ومن أهم ما ذكر عنه أنه عندما وصل إلى قرب المدينة المنورة، وفي بعض قرى الشيعة، كان يتوقف هناك والشيعة يرجعون إليه، وكان معروفاً ومشهوراً لديهم في تلك المناطق. ومن الموارد المهمة في هذه الرحلة كما في سائر رحلات الباحثين، هو توضيح عدّة أمور مهمة بالنسبة لوجود بعض الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. وقد كتبت طبقاً لما هو موجود.

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان.

نص الرحلة

المنزل الثاني والعشرون: خان المالح

خرجنا من مدينة كربلاء قاصدين النجف الأشرف صباح الأحد الثامن من الشهر بعد ساعتين من شروق الشمس، ووصلنا أوّل الغروب إلى خان المالح[2] الذي كان المرحوم الشيخ مرتضى[3] (عليه الرحمة) قد أسّسه وبناه.

(٢) خان المالح: وهو خان الحماد الواقع في منتصف طريق كربلاء - النجف وهو مركز ناحية الحيدرية التابعة لمحافظة النجف الأشرف، وقد سمي الخان بالمالح لملوحة ماء بئره، وفي رحلة ناصر الدين شاه القاجاري عند زيارته سنة ١٢٨٧هـ قيل له أن الشيخ مرتضى الأنصاري بنى الخان بأموال الحاج شهاب الملك. ويلتصق بهذا الخان خان آخر أصغر منه، وهو من أبنية الحاج محمد حسين الصدر الأصفهاني.

(٣) الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى الأنصاري الدزفولي:

فقيه كبير مجدد، ولد في دزفول ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٤هـ ونشأ بها على والده العالم الجليل، فقرأ المقدمات الأدبية والشرعية على فضلاء المدرسين منهم عمه الشيخ حسين الأنصاري.

وفي سنة ١٢٣٤ عزم مع والده زيارة أئمة العراق فوصل كربلاء ومكث بها للدراسة والحضور على السيد محمد المجاهد وشريف العلماء المازندراني أربع سنين.

رجع إلى بلده مدة سنتين، ثم عاد إلى العراق ونزل النجف وحضر بها على الشيخ موسى كاشف الغطاء.

انتقل إلى كاشان وحضر بها على الشيخ أحمد النراقي ثلاث سنوات.

عاد إلى النجف وحضر بها على الشيخ علي كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وعليهما تخرج.

استقل بالبحث والتدريس فتخرج عليه المئات من أبطال العلم، وصار من فقهاء ورؤساء ومراجع الإمامية في عصره، وهو أحد الدعائم والأركان التي قام عليها الكيان، وشهرته العلمية وكتبه القيمة من (الرسائل) و(المكاسب) والتي هي مدار التدريس في الجامعات الشيعية تغنيه عن الذكر.

وكان زاهداً عابداً ورعاً تقياً صالحاً، يوصل الحقوق إلى أهلها ويبذل على الفقراء سراً ولم يخلف مالاً ولا عقاراً.

طبع من مؤلفاته: أحكام الخلل في الصلاة، رسالة في التقية، رسالة في الرضاع، رسالة في قاعدة من ملك، رسالة في القضاء عن الميت، رسالة في المصاهرة، رسالة في المواسعة والمضايقة، سراج العباد -رسالة عملية-، صراط النجاة -رسالة عملية-، فرائد الأصول -الرسائل-، كتاب الخمس، كتاب الزكاة، كتاب الصلاة، كتاب الطهارة، كتاب الصوم، كتاب النكاح، كتاب الوصايا، المكاسب ١-٨، مناسك الحج.

توفي بالنجف في ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١هـ ودفن بالصحن الشريف بحجرة رقم ١١.

ترجمته في: المآثر والآثار ١٣٦، روضات الجنات ٩٨/١، ١٦٧/٧، الفوائد الرضوية ٦٦٤، معارف الرجال ٣٩٩/٢، علماي معاصرين ٤٥٨، عنوان الشرف ٩١، أعيان الشيعة ١١٧/١٠، ماضي النجف ٤٧/٢، الذريعة ١٧٤/٤، مصفى المقال ٤٥٥، أحسن الوديعة ١١٩، مع علماء النجف ٨٧ وكتب عنه الشيخ مرتضى بن جعفر الأنصاري كتاب (زندكاني وشخصيت شيخ أنصاري) فارسي مطبوع، مشاهير المدفونين ٣٥١-٣٥٢.

المنزل الثالث والعشرون: النجف الأشرف

في صباح يوم الاثنين التاسع من ذلك الشهر جلسنا في الهودج مع الحاجّ محمّد كاظم كما في اليوم السابق، وتحرّكنا فوصلنا النجف الأشرف قبل غروب الشمس بساعتين، وكان في استقبالنا الحاجّ حبيب كمّونة مع ولده المبجّل السيّد حميد خادم الروضة الحيدريّة (عليه السلام)، وكانا في استقبالنا عند وادي السلام الواقع خارج السور، حيث ذهبنا إلى بيته الذي نزلنا فيه.

وقد بقيت في النجف الأشرف مدّة شهر واحد قضيته بالزيارات، حيث كنت أتشرّف بزيارة الروضة في اليوم والليلة ثلاث مرّات أو أكثر.

كنت أقضي أغلب أوقات ليلي ونهاري في الحرم المطهّر، حتّى أنّي كنت أقرأ فيه دعاء أبو حمزة مدّة ثمان ليال من الشهر المبارك، وأخرج متّجهاً إلى المنزل قبل طلوع الفجر بساعة ونصف أو ساعتين لتناول طعام السحور.

وكنت أذهب في بعض الأيّام إلى وادي السلام لزيارة أهل القبور، حيث يضمّ هذا الوادي قبرَي نبيَّي اللّه هودٍ وصالح. وهناك خلاف حول موضع قبريهما بين بحر العلوم والشيخ البهائي وآخرين. فالبعض يرى أنّ محلّ الدفن هو نفس موضع الضريح والمقبرة المبنيّة الآن، بينما يعتقد بعضٌ آخر أنّ محلّ الدفن قريبٌ من ذلك عند العمارة المبنيّة في أطراف المدينة والمهدّمة الآن والتي فيها ضريح مبني من الجصّ مع سرداب أيضاً.

وتضمّ صحراء وادي السلام هذه أيضاً بناءً وغرفةً يقرأون فيها زيارة صاحب الزمان، وفيها محراب، وفي المحراب صخرة منقوشٌ عليها زيارة الإمام الحجّة، ويقولون إنّ مقام صاحب الزمان فيها. وقد تشرّفت أنا الحقير بزيارة هذا الموضع.

المنزل الرابع والعشرون: مسجد الكوفة

غادرنا النجف الأشرف يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان المبارك بعد التشرّف بزيارة الوداع، واتّجهنا نحو الكوفة. بعد قطعنا مسافة ميل من الطريق وصلنا إلى مسجد الحنّانة فصلّينا فيه ركعتَي صلاة، كما يوجد في الطريق بين النجف والكوفة قبر كميل بن زياد أحد أصحاب أمير المؤمنين.

وصلنا إلى مدينة الكوفة وتجوّلنا فيها قليلاً، ثمّ دخلنا المسجد عند الغروب وأدّينا الأعمال الواردة من صلاة ودعاء في مقامات المسجد الاثني عشر، وهي: مقام ومحراب نبيّ اللّه إبراهيم (عليه السلام)؛ ومقام رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)؛ ومقام آدم (عليه السلام)؛ ومقام الخضر (عليه السلام)؛ ومقام الإمام زين العابدين (عليه السلام)؛ ومقام جبرائيل(عليه السلام)؛ ومحرابَي أمير المؤمنين بما فيهما ذلك الذي استشهد فيه والذي يحتوي على باب وشبّاك، في حين يقول البعض إنّ المحراب الذي استشهد فيه الأمير هو المحراب الآخر الذي لا شبّاك فيه، وكلا المحرابين يقعان باتّجاه قبلة المسجد؛ ومقام ومحراب الإمام جعفر (عليه السلام)؛ وهو عبارة عن غرفة يقع فيها قبر المختار[1]؛ ودكّة القضاء؛ وبيت الطشت.

وفي هذه الليلة - وهي ليلة الأربعاء المصادفة للعاشر من شهر رمضان المبارك- تشرّفت بزيارة مسلم بن عقيل الذي يقع مرقده المنوّر خلف المسجد وقد صنعوا ضريحه الطاهر من الفضّة، ومقابل هذا القبر يقع قبر هاني بن عروة الذي تشرّفت بزيارته في هذه الليلة أيضاً، ثمّ وفّقنا اللّه عند طلوع الفجر لزيارة مسلم وهاني مرّة أُخرى أيضاً.

في صباح الأربعاء (اليوم العاشر من الشهر) ذهبنا لزيارة بيت أمير المؤمنين الواقع خلف مسجد الكوفة، وكان التخريب قد سرى إلى أكثره، كما شاهدنا الدكّة التي ذكروا أنّه غسّل عليها بعد شهادته وصلّينا عندها ركعتين، ثمّ خرجنا والعيون تفيض بالدموع.

المنزل الخامس والعشرون: خان المالح

خرجنا صباح اليوم المذكور من مسجد الكوفة ميمّمين صوب مسجد السهلة الذي دخلناه بعد قراءة الدعاء المأثور، ثمّ أدّينا الأعمال الوارد استحباب أدائها في وسط المسجد، وفي الزاوية الشماليّة الغربيّة حيث مقام إبراهيم، والزاوية الجنوبيّة الغربيّة، والزاوية الشماليّة الشرقيّة، والزاوية الشماليّة[2] الشرقيّة، وفي مقام صاحب الأمر، وبعد أداء كلّ ما هو مذكور من الأعمال في هذه المقامات الستّة من صلاةٍ ودعاء وزيارة غادرنا المسجد متّجهين إلى مسجد زيد بن صوحان؛ وهو مسجد صغير إلى جانب مسجد السهلة، ثمّ دخلنا مسجد صعصعة بن صوحان وأدّينا ما يلزم من أعماله الواردة.

في عصر هذا اليوم المذكور دخلنا خان المالح.

المنزل السادس والعشرون: كربلاء

صباح هذا اليوم الخميس الحادي عشر غادرنا خان المالح متّجهين إلى كربلاء....

---

(١) مرقد المختار بن أبي عبيدة الثقفي: الآخذ بثأر الإمام الحسين(عليه السلام) يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لمسجد الكوفة، في حجرة تقع في الجهة اليسرى لمستقبل القبلة.

وعليه شباك فضي واسع، وداخل الشباك صندوق من الخشب البورمي المطعم، وقد شملت المرقد أعمال التوسيع والصيانة المستمرة حتى الآن.

(٢) الظاهر أنّ هنا اشتباه، فالسياق يقتضي أن تكون «الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة». المترجم

٧- رحلة السيد الميرزا حسن الموسوي الإصفهاني
(وقائع السفر من مشهد إلى مكة والمراقد المقدسة)[١] ١٣١٥-١٣١٦هـ

مقدمة:

صاحب الرحلة اسمه حسن واسم أبيه إبراهيم بن محمد المؤمن، المشهور بـ(آقا ميرزا كوجك) أي -آقا ميرزا الصغير- بن علي رضا، من السادات الموسوية المحترمين في إصفهان، وجميعهم كانوا من أهل العلم والإيمان، ووالد علي رضا محمد مؤمن، من العلماء المشهورين في العهد الصفوي، وصاحب مصنفات ومؤلفات كثيرة، قيل أنه كان من العلماء الموثوقين والمعروفين جداً في زمان المرحوم (شاه سلطان حسين الصفوي) وكانت مكتبته تحمل على سبعة جمال وكان مقتدراً، ومطّلعاً ونافذاً في الحكم، وقبره يقع في صحن شاهزاده عبد العظيم (لعلّه يقصد عبد العظيم الحسني -المترجم-) في باب في المسجد.

مصنف هذا الكتاب (الرحلة) المرحوم السيد الحاج الميرزا حسن الموسوي (رحمه الله) كانت ولادته سنة ١٢٦٧هـ في مدينة أصفهان وقد ودّع الحياة في نفس المدينة بتاريخ ١٣٤٥هـ بعد أن قضى ٧٨سنة من حياته بالزهد والتقوى والعلم والإيمان، والتشرف بالحضور عند كبار العلماء، وتربية وتعليم طالبي الهداية، والباحثين عن طريق الحق ونشر علوم وفضائل أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم أجمعين) وفي محل إقامته ارتحل عن الدنيا، وقد دفن في العتبات المقدسة، حاله حال آبائه وأجداده، ومن الجدير بالذكر أن أبويه وزوجته قد دفنا في كربلاء المقدسة، في مكان يعرف بالوادي (الأيمن). كما ذكر هو في إحدى مدوّناته عن سفره إلى العتبات المقدسة.

وأمّا رحلته إلى الحج، فقد كتبت في (٣٢٨ صفحة وبخط يده، ومحفوظة عند عائلته)، وأما تاريخها فقد كان في ٤ جمادى الثاني سنة ١٣١٥هـ المصادف ١٠ أبان ١٢٧٦ش، والعودة يوم ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ المصادف ٢٥ بهر سنة ١٢٧٧ش.

نص الرحلة

في الطريق إلى النجف

كنّا يوم السبت العاشر [من ربيع الأوّل] في كربلاء. اغتسلنا في الصباح وقرأنا زيارة الجامعة ثمّ رجعنا إلى المنزل، تناولنا طعام الغداء ونمنا.

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان. وقد طبعت مستقلة بعنوان (روزنامه سفر مشهد، مكة وعتبات) مؤسسة فرهنكي هنري مشعر - طهران في أبهار ١٣٩٢ش.

بعد أداء صلاتَي الظهر والعصر زارنا الأقا ميرزا علي ونهلنا من إفاضاته، إنّه صديقٌ في غاية اللطف.

توجّهنا عصراً -قبل الغروب بثلاث ساعات- إلى النجف الأشرف، بعد أن استأجرنا بغلَين، كلّ واحدٍ منهما بثلاثة آلاف، وعدنا من نفس طريق الجبل الذي دخلنا منه، ووصلنا إلى النخيلة[٢] حدود الساعة بعد حلول الليل، وهو نفس المكان الذي كنّا محجوزين فيه، وبتنا في خان الشمسيّة[٣].

بعد صلاة المغرب جاء الحاجّ السيّد وهاب الأصفهاني والحاجّ الميرزا رضا سقط فروش الأحمدآبادي الأصفهاني إلى منزلنا وأخبرانا بوصول رسالة وحوالة من أصفهان إلى النجف باسم صاحبنا الميرزا رضا، وهي موجودة عند الملاّ علي العطّار قرب باب الطوسي، فكان ذلك سبباً في ارتياح الميرزا رضا وسروره سروراً عظيماً؛ الحمد للّه.

يوم الأحد، الحادي عشر [من ربيع الأوّل] تحرّكنا بعد صلاة الصبح من النخيلة، وسرنا مسافة ثلاثة فراسخ. وفي حوالي الساعة الثالثة من النهار وصلنا إلى خان المالح. في المنزل الثالث ألقينا رحالنا على إحدى المصطبات في إحدى الزرائب. الهواء هنا حارّ جداً، غطسنا بعد الظهر في أحد مخازن الماء المليئة بالمياه المالحة طلباً للبرودة.

تنتشر في خان المالح البساتين والأشجار والمحلاّت والبيوت العديدة، وتتوفّر فيه أغلب الأمتعة والبضائع، خصوصاً اللبن الرائب ولبن الشراب الذي يتوفّر بكثرة وبأسعار زهيدة.

في هذه الأثناء جلب لنا (مهدي) وهو أحد الجمّالين العرب حماراً كي نضع عليه أثقالنا. لم يبقَ على حلول المغرب أكثر من ثلاث ساعات ولا يزال الجوّ حاراً لا يطاق، نسأل اللّه العون.

النجف:

يوم الاثنين، الثاني عشر [من ربيع الأوّل] بعد مضيّ أكثر من ساعتين على شروق الشمس وصلنا مدخل مدينة النجف الأشرف. رزق اللّه جميع المحبّين زيارة هذه العتبة المباركة.

في الليلة الماضية وبعد مضيّ نصف ساعة على غروبها

(٢) منطقة النخيلة: وهي منطقة خان النخيلة قرب منطقة العواسج التابعة لقضاء الهندية، تقع في ربع طريق كربلاء - النجف من جهة كربلاء، على مسافة ٢٠كيلومتر عن كربلاء.

(٣) خان الشمسية: ويقصد به خان النخيلة، الواقع في نفس منطقة النخيلة، أنشأه الحاج حسن بن الشيخ محمد بن محمد رضا شمسة من وجهاء مدينة النجف الأشرف لاستفادة الزائرين، وبعد وفاته أكمله أولاده حسب وصيته، وتم بناؤه سنة ١٣٢١هـ

وقد ورد في كتب الرحلات باسم (خان الشمسية) و(خان الشمس) نسبة إلى منشئه الحاج حسن شمسة -كما مر-.

وصلنا إلى أحد الخانات الذي يدعى (خان المصلّى)[1]، وهو يبعد عن مدينة النجف الأشرف مسافة ثلاثة فراسخ، وقد قطعتها الحمير بسرعة فائقة، وهي طريق ممتعة إلى حدٍّ بعيد.

وأكثر ما يطويه المسافر بين كربلاء والنجف هي أراضٍ خضراء عامرة بالزرع وعلى ضفاف نهر الفرات. وكان عصّارو أصفهان رفاق طريقنا في خان المالح وعند اتّجاهنا نحو النجف؛ نسأل اللّه أن يكون نصيبنا دوماً مصاحبة الأخيار ومجاورتهم، وأن يقينا شرّ الأشرار والمحتالين ويباعد بيننا وبينهم بُعد ما بين المشرق والمغرب.

كانت إقامتنا في النجف الأشرف في بيت الحاجّ حسين المشهور بـ (مال اللّه)، وهو ليس بالمنزل السيّء، وإن كان بعيداً بعض الشيء عن الحرم المقدّس، وفيه حوض وسرداب، وهو حديث البناء. واسم خادم البيت والزائرين هو (عابد)، وهو الذي دلّنا عليه وأخذنا إليه.

بعد ورودنا البيت تشرّفنا بتقبيل أعتاب الحضرة المباركة. ثمّ رجعنا إلى البيت وتناولنا الطعام المتكوّن من الخبز والجبن والرقّي.

نمنا في السرداب، وكان حاراً كبقيّة الأيّام لم ينقطع تدفّق العرق فيه من أجسامنا. وذلك على الرغم ممّا يزعمونه من أنّ اليوم أبرد من الأيّام السابقة.

في هذه الساعة، وحيث لم يبقَ على حلول المغرب إلاّ أقلّ من الساعتين؛ أشعر برغبة شديدة في الاستحمام وأداء الزيارة.

واللّه وليّ التوفيق، وهو خير رفيق.

يوم الثلاثاء، الثالث عشر [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف الأشرف. في مساء الليلة الماضية بعد عودتنا من زيارة العتبة المقدّسة تلقّيت أنا والميرزا رضا بعض الرسائل الواردة من معارفنا في أصفهان والمليئة بالأخبار المؤسفة والمثيرة للأسى، وقد انزعجنا كثيراً ودبّ اليأس والخمول فينا. وممّا تضمّنته تلك الرسائل أنباء وفاة المرحوم الملاّ عبد الخالق والمرحوم الأقا محمّد حسين چيت‌ساز، إضافةً إلى مقتل الحاجّ عبد الرحيم، وما شابه ذلك من الأخبار.

والآن، ماذا يمكنني أن أقول عن هذه الدنيا المحفوفة بالمحن والويلات والابتلاءات؟ بل أين لي بإنسانٍ لم تلازمه الهموم والغموم والآلام ؟ ألهمنا اللّه الصبر وأعاننا على تحمّل المصائب، وجعل عواقب أُمورنا خيراً.

لقد مللت الحياة الدنيا أقصى غاية الملل، ولو كنت متيقّناً من عدم تحقّق ما أصبو إليه من الأهداف لرضيت بالموت.

وماذا يمكنني بعد هذا أن أُعبّر عن أهلنا الذين صاروا سبباً في ما أنا فيه من القنوط والإحباط[2]؟

بعد أداء مراسم الزيارة للعتبة المقدّسة صباحاً ذهبنا لزيارة جناب الحاجّ عبد الباقي التاجر الأصفهاني، فقال إنّه كان على وشك المجيء إلينا الآن، وتقرّر أن يأتي لزيارتنا غداً صباحاً.

الهواء اليوم حارّ جداً بحيث لا يمكن الخروج من البيت والذهاب إلى الحرم إلاّ صباحاً. وقد بدأت حلقات الخواتيم بالاسوداد شيئاً فشيئاً كأنّها وُضعت في ماء يغلي.

بدل أُجرة المنزل في النجف أكثر من أُجرة كربلاء البالغة قمري ونصف، أي ما يعادل اثني عشر پول[3] من نقودنا.

يوم الأربعاء، الرابع عشر [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف الأشرف، وجاء إلينا في الصباح جناب الحاجّ عبد الباقي وجناب الحاجّ محمّد صادق (قريبه الذي رافقنا في طريق مكّة من مشهد المقدّسة إلى النجف الأشرف)، والأقا الميرزا محمّد رضا (تلميذه)، والحاجّ محمّد هاشم (التاجر)، ثمّ ذهبوا بعد أن شربوا الشاي، فاغتسلت غسل الزيارة ثمّ توجّهت نحو الحرم، رزق اللّه جميع الأحبّة توفيق الزيارة.

بعد ذلك رجعت إلى المنزل، وعاد الميرزا رضا أيضاً ومعه ثلاث رقّيات اشتراها بقران وأربعة پول، أكلناها ثمّ نمت وذهب هو إلى بيت الحاجّ عبّود ليستدين منه مئة تومان

---

(١) خان المصلى: ويسمى أيضاً (خان الربع) أي ربع الطريق من جهة النجف. يقع في الشمال الشرقي لمدينة النجف على بعد ٢٠كيلومتر منها، أُسس كمرحلة أولى لمن خرج من النجف قاصداً كربلاء، ومأوى لزائري الإمام الحسين(عليه السلام) ولعابري السبيل ليلاً ونهاراً.
شُيّد هذا الخان من ثلث تركة الوجيه المرحوم الحاج حسن مرزة الأسدي التاجر النجفي المتوفى بحدود ١٣٠٤هـ

(٢) هذه الإشارة المبهمة من المؤلّف إنّما هي عن أحداث سنة ١٣١٥ هـ التي حصلت في همدان، حيث وقع النزاع بين المتشرّعة والشيخيّة. ذلك النزاع الذي وردت تفاصيله في كتاب تاريخ العبرة لمن اعتبر والذي سقط في خضمّ معاركه العديد ومنهم الحاجّ عبد الرحيم قتيلاً.
وفي هذه الواقعة انتقل الميرزا محمّد باقر القهپي رئيس شيخيّة همدان إلى جندق بتوجيهٍ من الحاجّ محمّد كريم خان، حتّى توفّي هناك. وإلى هذا الميرزا تنسب مجموعة الباقريّة من فرقة الشيخيّة.
كما ألّف الأقا رضا الهمداني الواعظ الهمداني الشهير الذي كان يتزعّم محاربة الشيخيّة كتاباً في محاربتهم أسماه (هديّة النملة إلى مرجع الملّة) [وهو مطبوع بالأوفست في قم سنة ١٣٦٥، مع مقدّمةٍ بقلم آية اللّه المرعشي].. وقيل: إنّ تأليف هذا الكتاب ربما كان بأمر الميرزا الشيرازي، وقد استعرض فيه آراء المتشرّعة والشيخيّة ونقاط خلافهما في المسائل العديدة، وردّ على آراء الشيخيّة.

(٣) البول من أصغر وحدات النقد وأخسّها في إيران القديمة، وهي تعادل نصف الشاهي. المترجم

لتسوية حساب جاسم. اللهمّ بحقّ محمّد وآل محمّد (عليهم السلام) إلاّ ما فرّجت عن هذا العاصي المذنب بإنقاذه من أهوال هذا الدين الذي ابتلي به، يا مَن هو بمَن رجاه كريم.

يوم الخميس، الخامس عشر [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف الأشرف. جاء جاسم في الصباح لتسوية حسابه، وكان يرتدي لباس الجنود بعد أن دخل سلك العسكريّة، وقانا الله من شروره.

بعد ذهابه اغتسلت وذهبت للزيارة، وبعد الفراغ من الزيارة توجّهت إلى قبر المرحوم العلاّمة [الحلّي][1] الواقع على الجهة اليمنى من باب قبلة الرواق المطهّر عند الدخول في إيوان الذهب قبل منارة الذهب قليلاً وقرأت الفاتحة هناك، ثمّ ذهبت إلى قبر المرحوم [المقدّس] الأردبيلي[2] الواقع في نفس الإيوان لكن من الجهة اليسرى من الرواق قليلاً قبل منارة الذهب وقرأت الفاتحة أيضاً.

---

(١) مرقد العلامة الحلي: والعلامة الحلي هو الشيخ الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن المطهر الحلي، جمال الدين، أبو منصور، المعروف بالعلامة.

ولد في الحلة في ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م من أب عالم محقق مشهور هو الشيخ سديد الدين يوسف الذي تحدر من أسرة علمية جليلة كبيرة.

وعكف العلامة منذ صغره على دراسة مختلف العلوم دراسة شاملة عامة على جمهور من أقطاب العلم والفضل من الفريقين ومنهم: كمال الدين بن ميثم البحراني شارح نهج البلاغة، والسيد جمال الدين أحمد والسيد رضي الدين علي ابنا طاوس، وخاله المحقق الحلي صاحب الشرائع، ونصير الدين الطوسي وغيرهم.

وروى عن جماعة منهم: ابن نما الحلي، ومفيد الدين محمد بن علي بن الجهم الحلي الأسدي، ونجيب الدين يحيى بن أحمد يحيى الهذلي ابن عم المحقق الحلي، ومن علماء السنة: نجم الدين عمر بن علي الكاتبي القزويني الشافعي المعروف بدبيران المنطقي صاحب متن الشمسية، ومحمد بن محمد بن أحمد الكيشي المتكلم الفقيه وبرهان الدين النسقي وغيرهم.

وتخرج به جماعات من العلماء لا مجال لتعدادهم.. وكان مجلس تدريسه حافلاً يغص بعشرات المجتهدين الذين أخذوا عنه وتخرجوا به، وانتهت إليه الرئاسة في عصره بشكل مطلق، وكان من المقدمين المقربين عند السلطان محمد خدابنده وكانت بينه وبين ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي المتوفى ٧٢٨هـ مناقضات في الإمامة.

كان العلامة الحلي من جهابذة العلم القليلين فيما قدمه للأمة العربية والإسلامية من جهود علمية منقطعة النظير، وقام به من بحوث في مختلف النواحي العقلية والنقلية، فهو في طليعة المحققين الثقات، ومن أعظم الفقهاء والمحدثين، ومن أعلام الفلاسفة والمتكلمين والمناظرين..

وهو في فضائله ومحاسنه نادرة من نوادر الدهر. ولم تزل مؤلفاته وتصانيفه معول العلماء ومرجعهم في مهماتهم. وكان إلى جانب هذا كله من الأدباء والشعراء البارزين، وتدل أشعاره على جودة طبعه وأسلوبه، وعثر على مجموعة نسب فيها إليه مراسلات شعرية مع نصير الدين الطوسي وغيره.

وعاش العلامة جليل القدر، رفيع المنزلة، عظيم الشأن، حتى توفي في يوم السبت ٢١ محرم سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م في الحلة، ودفن في النجف وقبره مزور معروف بجانب المنارة الذهبية.

ومؤلفات العلامة كثيرة جداً، وقد ذكروا أنه وجد بخطه خمسمائة مجلد من مصنفاته! غير المخطوط منها بخط غيره، وذكر ابن حجر في الدرر: «وبلغت تصانيفه مائة وعشرين مجلدة» وللعلامة في علم الحكمة وحدها (١٧) مجلداً منها شرح شفاء ابن سينا وشرح إشاراته وشرح حكمة الإشراق وكان أول من شرح تجريد الطوسي، وله إجازات طويلة مدونة، ومن تصانيفه الكثيرة الواسعة: «إثبات الوصية» و«الأربعون مسألة في أصول الدين» و«إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان» و«كتاب الألفين الفارقي بين الصدق والمين» -ط١٢٩٦هـ و«إثبات الرجعة» و«أنوار الملكوت في شرح فص الياقوت» و«إيضاح اللاشتباه، في ضبط أسماء الرواه» -ط١٣١٨هـ و«إيضاح مخالف السنة، من كتب التفاسير» و«الباب الحادي عشر» في الكلام والعقائد. «تبصرة المتعلمين في أحكام الدين»، «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» -ط١٣١٤هـ «تذكرة الفقهاء»: فقه استدلالي في أجزاء متعددة طبع منه (١٥) جزءاً في مجلدين كبيرين في إيران، وطبع بعض أجزاء منه في النجف سنة ١٣٧٤-١٣٧٥هـ «تهذيب الوصول إلى علم الأصول» -ط١٣٠٨هـ «تلخيص الأحكام» في الفقه، «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال» ط١٣١١هـ «شرح التجريد»، «قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام في (٦٦٠٠) مسألة» في مجلدين، «الرسالة السعدية، في الكلام»، «كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد» و«مبادئ الوصول إلى علم الأصول»، «مختلف الشيعة في أحكام الشريعة»، «منتهى المطلب في تحقيق المذهب» - ط١٣٣٣، و«منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» في العقائد -ط١٢٩٦هـ «نظم البراهين في أصول الدين»، «نهاية الوصول في علم الأصول»، «نهج الحق وكشف الصدق» -ط١٠١٩هـ «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة»، «آداب البحث»، «استقصاء النظر في القضاء والقدر»، و«الفخرية في النية»، «السر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، «الأسرار الخفية في العلوم العقلية»، «شرح حكمة العين» -ط١٣٧٨هـ

ترجمته في: رجال ابن داود ١١٩-١٢٠، لسان الميزان ٣١٧/٢، الدرر الكامنة ٤٩/٢ و٧١ (ذكره في الحسن والحسين)، مجالس المؤمنين ٥٧٠/١-٥٧٦، نقد الرجال ٦٩/٢-٧٠ رقم ١٣٩٥، أمل الآمل ٨١/٢-٨٥ رقم ٢٢٤، رياض العلماء ٣٥٨/١-٣٩٠، لؤلؤة البحرين ٢١٠ وفيه ثبت بتصانيفه، روضات الجنات ١٧١، تنقيح المقال، تأسيس الشيعة ٢٧٠، أعيان الشيعة ٢٧٧/٢٤-٣٣٤، الذريعة - في أمكنة متعددة، وراجع ما كتبه هو في كتابه (الرجال) عن نفسه وعن مؤلفاته ص٤٥-٤٨ ط النجف - الثانية ١٣٨١هـ أعلام العرب ١٣٢/٢، معجم الشعراء للجبوري ٨٣/٢-٨٤

(٢) الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي الشهير بـ(المقدس):

فقيه أصولي محقق، ولد في أردبيل، ومنها هاجر إلى النجف وقرأ على لفيف من المدرسين، حتى اشتهر أمره وعلا صيته وصار فقيه الإمامية في عصره.

له المكانة العالية في العلوم الإسلامية، عرف بتحقيقاته القيمة وآرائه السديدة، فتهافت عليه طلاب العلم الشريف من كل حدب وصوب، فبرز ورأس في النجف مدة طويلة ناشراً للسنن والآداب واعظاً مرشداً، أقام الصلاة جماعة في الصحن الشريف.

وكان معروفاً بالزهد والورع والعبادة، وله كرامات مشهورة.

له: استيناس المعنوية في علم الكلام -خ- حاشية الشرح الجديد للتجريد -خ- الخراجية -ط- زبدة البيان في أحكام القرآن -ط- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان للعاملي الحلي -ط- مناسك الحج -خ- فارسي وغيرها.

توفي بالنجف في شهر صفر سنة ٩٩٢هـ ودفن بالصحن الشريف في الحجرة الملاصقة للمئذنة الجنوبية.

ترجمته في: نقد الرجال ١٥١/١، لؤلؤة البحرين ١٤٨، روضات الجنات ٧٩/١، معارف الرجال ٥٣/١، أعيان الشيعة ٨٠/٣، الذريعة ٣٧/٢، ١١٣/٦، ٣٥/٢٠، مشاهير المدفونين ٤٧.

ثمّ ذهبت نحو باب الطوسي إلى قبر المرحوم الشيخ الطوسي[1]، ويقع في بيته الذي صار الآن مسجداً يقال له مسجد بحر العلوم، وهو الآخر مدفون هنا أيضاً حيث تتّصل مقبرته بباب المسجد. وقبر المرحوم الطوسي قبر عالٍ واقع داخل دكّة المسجد. ويقال إنّ بحر العلوم هذا هو بحر العلوم الأوّل، أي السيّد مهدي جدّ أو والد بحر العلوم الثاني السيّد علي المدفون في كربلاء.

بعد ذلك عدت حتّى وصلت إلى باب دكّان نجل المرحوم محمّد هادي النائيني الذي يتعاطى بيع العلف، وهو شابّ مؤدّب أبدى رغبته في استضافتنا مساء الغد. ثمّ ذهبنا إلى المنزل. هذا اليوم الجوّ حارّ جداً، يقال إنّ مثل هذا الحرّ لم تشهده النجف طوال سنوات عديدة. وأخبرنا بعض الزائرين من مجاورينا في المنزل وكان قد جاء من مسجد الكوفة هذا اليوم أنّ امرأة ذهبت البارحة من مسجد الكوفة إلى مسجد السهلة وعند عودتها ماتت من شدّة حرارة الهواء ورياح السموم وقد جئنا من هناك بعد دفنها. نسأل اللّه الرفق بنا.

يوم الجمعة السادس عشر [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف. انخفضت شدّة الحرارة قليلاً. أوّل المساء هبّت رياح حارّة لكنّ الوضع تحسّن مساءً، والآن وقد مضى على الغروب ثلاث ساعات يبدو الجوّ جيّداً.

بعد عودتنا من الحرم الشريف هذا اليوم ذهبنا إلى مدرسة المرحوم الصدر حيث قرأت الفاتحة على روح المرحوم إبراهيم خان وشكر اللّه خان، ثمّ عدت إلى المنزل.

يوم السبت، السابع عشر [من ربيع الأوّل] المصادف لعيد ولادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) كنّا في النجف الأشرف. رزق اللّه كافّة الأصدقاء توفيق الزيارة. هذا اليوم هو يوم الزيارة المخصوصة لأمير المؤمنين (عليه السلام) التي زاره بها الإمام الصادق (عليه السلام) في مثل هذا اليوم وعلّمها لمحمّد بن مسلم الثقفي وأوردها العلماء في كتبهم المأثورة.

في الليلة الماضية كنّا ضيوفاً في منزل محمّد حسن نجل المرحوم محمّد هادي النائيني الذي هيّأ طعاماً لذيذاً. ذهبنا في الصباح برفقته إلى وادي السلام لزيارة هودٍ وصالح (عليهما السلام) - وهما جارَي أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما كان آدم ونوح (عليهما السلام) ضجيعَي هذا الإمام الهمام - وقرأنا الفاتحة لجميع أهل القبور، وخصوصاً للمرحوم جدّنا الأغا السيّد مؤمن وخالي المرحوم الميرزا أبو الحسن والمرحوم الملاّ حسن. ثمّ عدنا إلى المنزل واغتسلنا غسل الزيارة وتوجّهنا إلى المرقد الشريف وزرنا صاحبه صلوات اللّه عليه وآله بتلك الزيارة المخصوصة والحمد للّه وله المنّة، ثمّ رجعنا إلى المنزل.

خطر ببالي أن لو وفّقني اللّه أذهب إلى منزل الحاجّ عبد الباقي التاجر لأستعلم منه عن مصير المبلغ الذي كان ينوي إقراضه لجاسم الحملدار؛ أسأل اللّه بحقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يفرّج عنّي غمّ هذه القضيّة بأقرب وقت. لم يكن الجوّ هذا اليوم بتلك الدرجة من السوء.

يوم الثلاثاء، الثامن عشر [من ربيع الأوّل] كنّا في مدينة النجف الأشرف. جاء جاسم في الصباح لتسوية بقيّة طلبه البالغ مائة وسبعة توامين. وقد استقرضنا هذا المبلغ من الحاجّ محمّد رضا التاجر الشوشتري بوساطة الحاجّ عبد الباقي سلّمه اللّه. التوامين السبعة أخذها بعنوان فائدة المبلغ، وأعطانا مائة تومان وأخذ حوالة بمبلغ مائة وسبعة توامين معنونة إلى أصفهان، فأعطينا المائة تومان هذه إلى جاسم والتمسنا منه أن يتغاضى عن النقص، فلم يجد بدّاً من القبول، والحمد للّه ببركة أمير المؤمنين (عليه السلام) وألطافه نجونا من شرور هذا الظالم، الذي أخذ منّا خمسين تومانا ظلماً. وكيف كان، فقد جعلنا هذه التوامين السبعة بعهدته. نسأل اللّه ببركة هذا الإمام العظيم (عليه السلام) والصلاة أن تمرّ قضيّة الحوالة بسلام وإلاّ فالفضيحة كبيرة، نعوذ باللّه من الذنوب التي تهتك العِصَم.

عصر هذا اليوم ذهبنا إلى البحيرة الواقعة جانب وادي النجف والتي قام العثمانيّون في الفترة الأخيرة بجلب الماء إليها، وتقع في نفس المكان الذي كان بحراً في السابق ثمّ جفّ تماماً، وقد حوّلوه إلى بساتين يمارس الأهالي الزراعة فيها. أوّل ما ذهبنا وصلنا إلى النهر الذي شقّه وكيل الملك الكرماني، وهو الآن خالٍ من الماء إلاّ بعض الماء المتعفّن في قعره. إلى جانب النهر توجد مقهى وبقربها عين يجري الماء منها، ماؤها باردٌ إلاّ أنّه مالح قليلاً. تجرّدنا من ملابسنا ونزلنا في الماء واغتسلنا غسل الزيارة.

ثمّ مشينا بعض الشيء حتّى وصلنا إلى النهر العثماني. كم هو جيّد هذا النهر وعظيم الفائدة، تنتشر أشجار الصفصاف على كلا جانبيه، وفي أطرافه مقهى دخلناها وطلبنا نارجيلة دخنّاها وعدنا إلى المدينة. لم يكن مزاج الميرزا رضا على ما يرام، فعاد إلى المنزل بينما ذهبت أنا للزيارة.

في النهار تهبّ رياح شديدة في غاية الحرارة تفوق طاقة الإنسان على التحمّل وتؤذيه إلى أقصى الحدود. منذ وصولنا إلى هنا حتّى الآن لا تكفّ الرياح الحارّة جداً عن الهبوب حتّى بعد مضيّ ساعتين من حلول المساء، لكنّها تبدأ بالتحسّن قرب الفجر وتستمرّ على هذه الحالة حتّى ما قبل الظهر بساعتين.

(١) مرقد الشيخ الطوسي والسيد بحر العلوم: يقع في شارع الطوسي على بعد ١٠٠ متر عن الصحن العلوي الشريف.

يوم الاثنين، التاسع عشر [من ربيع الأوّل] لا زلنا في النجف. وكالمعتاد اغتسلنا في الصباح وذهبنا لزيارة الأمير. قرّرنا أن نذهب عصر اليوم -إن وفّقنا اللّه- إلى مسجد الكوفة ونبيت الليلة هناك، إن شاء اللّه تعالى.

مسجد الكوفة:

يوم الثلاثاء [العشرون من ربيع الأوّل] كنّا في مسجد الكوفة. عصر الاثنين حوالي ما قبل الغروب بساعة ذهبنا مع الميرزا رضا إلى باب سور النجف، استأجرنا حمارين بثلاثة قمريّات ونصف. قمري كربلاء معادل ثمانية من پول العجم، بينما قمري النجف أربعة من پول العجم.

حوالي الساعة بعد حلول المساء وصلنا إلى مسجد الكوفة، وكانت المسافة أكثر من فرسخ واحد. في الطريق مررنا بمسجد الحنّانة ومرقد كميل، فسلّمنا من بعيد وقرأنا الفاتحة.

بتنا الليلة في مسجد الكوفة، وفي الصباح شرعنا بالأعمال في اثني عشر مقاماً يجب أداء الصلاة وقراءة الدعاء في كلّ واحدٍ منها: مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو مصلاّه والذي اختلفت الروايات والأقوال حول مكانه في موضعين؛ ومقام النبيّ آدم (عليه السلام)، ومقام النبيّ نوح (عليه السلام)، ومقام النبيّ إبراهيم(عليه السلام)، ومقام الخضر (عليه السلام)، ومقام جبرائيل (عليه السلام)، ومقام الإمام السجّاد (عليه السلام)، ودكّة الإمام الصادق (عليه السلام)، ودكّة القضاء التي هي محلّ حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبيت الطشت، ومقام بيعة النبيّ (صلى الله عليه وآله). وقد تمكّنا وللّه الحمد من أداء كلّ الأعمال المذكورة في كتب الأصحاب في جميع هذه المقامات.

ثمّ توجّهنا صوب قبر مسلم (رضوان اللّه عليه)، وقبر هاني [بن عروة] فزرناهما وقرأنا الفاتحة على أرواحهما.

بعد ذلك خرجنا من المسجد، وذهبنا إلى شطّ الكوفة. لقد انتشر العمران فيه بصورة واسعة؛ إذ بنيت الكثير من البيوت الجديدة والخانات والسوق والدكاكين الجديدة.

يقع قبر النبيّ يونس (عليه السلام) على ضفّة الشطّ وقد زرناه ثمّ عدنا إلى سوق الكوفة، فاشترينا الخبز واللبن من البائعات العربيّات وأكلناها في محلاّت أحد الأشخاص العجم كرمانيّ الأصل، ثمّ عدنا إلى مسجد الكوفة ونمنا في سردابه. بعد ذلك استيقظنا وأدّينا صلاتَي الظهر والعصر في مقام أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى جانب المنبر، ثمّ خرجنا خارج المسجد وشربنا الشاي عند أحد الباعة الذي يقع دكّانه عند باب المسجد.

وقبل حلول المغرب بنصف ساعة ذهبنا مشياً على الأقدام إلى مسجد السهلة الذي وصلناه أوّل الغروب، وكان ذلك بعد أن زرنا قبر ميثم رضوان اللّه عليه ثمّ بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) الواقعة هناك أيضاً.

وبعد أداء صلاتَي المغرب والعشاء في مسجد السهلة قمنا بأداء مراسم الزيارة في أبنية أركان المسجد الأربعة وفي بناية صحنه أيضاً، ثمّ حللنا ضيوفاً على خادم المسجد الكربلائي باقر الأصفهاني، وهو إنسان لا بأس به وعطوف.

بعد أداء صلاة الصبح ذهبنا مشياً إلى النجف، وكان طريقاً طويلاً.

يوجد في وسط مسجد السهلة مقام آخر يقولون أنّه مقام الإمام الصادق (عليه السلام)، صلّينا فيه صلاتَي المغرب والعشاء وقرأنا الدعاء الوارد استحباب قراءته بعد صلاة المغرب. أمّا المقام المذكور أنّه في الصحن وفيه صلاة ودعاء، فلا يقع في وسط الصحن، بل هو في جانب الصحن قريباً من الجدار، وهو مقام الإمام زين العابدين (عليه السلام) كما يقولون. وهناك مقام آخر في هذا المسجد غير هذه المقامات المذكورة وعليه قبّة، وهو مقام صاحب الزمان (عجّل اللّه تعالى فرجه)، ويجب زيارته في ذلك المكان.

وقداسة هذا المسجد عالية جدّاً، حيث ورد في الأحاديث أنّ جميع الأنبياء صلّوا فيه، وأنّه كان بيتاً لنبيّ اللّه إدريس (عليه السلام) حيث كان يمارس الخياطة فيه، وأحد مقاماته الأربعة الواقعة في ركنه هو مقام إدريس.

أمّا مسجد الكوفة فهو بيت نبيّ اللّه آدم (عليه السلام) ومسجده، ثمّ صار بيتاً ومسجداً لنوح (عليه السلام)، فيه صنع السفينة، وفيه كان ذلك التنّور -وهو ما ينسبون أحد مواضع المسجد إليه الآن- الذي فار الماء منه وحصل الطوفان. كما أنّ جميع الأنبياء قد صلّوا فيه أيضاً، وأنّ ركعة واحدة من الصلاة فيه تعادل ألف ركعة في الأماكن الأُخرى، وهو محلّ شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، إضافةً إلى الفضائل الجمّة الواردة بحقّه في الأخبار.

وهناك مسجدان آخران قريبان من مسجد السهلة، أحدهما مسجد زيد، والثاني مسجد صعصعة بن صوحان. وكلّ واحدٍ من المسجدين له أعماله المخصوصة وفضائله المذكورة.

يوم الأربعاء، الحادي والعشرون [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف الأشرف. وصلنا صباحاً حوالي ساعة بعد شروق الشمس قادمين من مسجد الكوفة، وكنّا منهكين غاية الإنهاك. شربنا الشاي بعد أن أعدّه لنا الميرزا رضا أحسن إعدادٍ وأطيبه. ثمّ اغتسلنا وتشرّفنا بزيارة الحرم المطهّر. بعد العودة اشترى الميرزا رضا رقّيّتان بقرانٍ ونصف، فأكلناهما ونمنا، واغتسلنا عصراً وتشرّفنا بزيارة الحرم.

يوم الخميس، الثاني والعشرون [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف الأشرف. في الصباح جاء الكربلائي باقر خادم مسجد

السهلة مع زوجته العلويّة قريبة المرحوم السيّد نياز (عليه الرحمة) لزيارتنا. بعد ذهابهما اغتسلنا وذهبنا لزيارة الأمير. في نيّتنا أن نزور الحرم عصراً أيضاً، إن شاء الله.

يوم الجمعة، الثالث والعشرون [من ربيع الأوّل] كنّا في النجف. في نيّتنا -بعد إذن الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)- أن نعود عصر هذا اليوم إلى كربلاء. صادفنا مكارياً مع حمارٍ سامه بأربعة قرانات ونصف، فإن أتى ذهبنا إن شاء الله.

كان صاحب المنزل الذي ننزل فيه سيّئ الخلق إلى أبعد الحدود، وقانا الله من شرّه وضرّه. في حين كانت خادمة المنزل -واسمها زهراء- امرأة خدومة جداً وقانعة ورؤوفة، ربّنا نجّنا من عذاب النار.

يوم السبت، الرابع والعشرون [من ربيع الأوّل] في الصباح حوالي الساعة الثالثة من النهار وصلنا خان المالح، وكنّا غادرنا النجف الأشرف البارحة قبل الغروب بساعتين، ووصلنا إلى خان المصلّى بعد مضيّ ساعتين من الليل تقريباً، وبعد أداء صلاة الصبح غادرنا الخان فوراً، واليوم تحرّكنا من خان المالح قبل الغروب بثلاث ساعات.

العودة إلى كربلاء:

يوم الأحد، الخامس والعشرون [من ربيع الأوّل] حوالي الساعة الثالثة من النهار وصلنا إلى كربلاء المقدّسة.

أوّل غروب البارحة وصلنا إلى خان الشمس، وغادرنا ذلك المكان قرب طلوع الشمس. ولمّا كان الطريق محفوفاً بالمخاطر، لم يفتحوا لنا باب الخان إلى أن أوشكت الشمس على الشروق.

في الساعة الثالثة من ليلة البارحة سمعنا أخباراً عن تعرّض جماعة من الزوّار في طريقهم من كربلاء إلى النجف إلى غارةٍ من بعض السرّاق قبل وصولهم إلى خان الشمس وأنّهم قد سلبوهم كلّ ما معهم من مال ومتاع وتركوهم حفاة.

بعد أن خرجنا من الخان صباحاً ولم نكد نطوي أكثر من نصف الفرسخ عن الخان شاهدنا سبعة أشخاص حفاة عراة إلاّ من القميص الداخليّ وهم يبحثون ويفتّشون عن أشيائهم التي سرقها السرّاق علّهم يجدون شيئاً منها ساقطاً من أيدي السرّاق، وقالوا إنّهم أُولئك الزوّار الذين سلبوهم البارحة وأنّهم كانوا حجّاجاً. حفظنا الله من أمثال ذلك.

طريق الحجاز محفوف بالمخاطر، إذ ما أن يحلّ الظلام حتّى يكون المسير فيه مجازفة غير محمودة.

المنزل الذي نزلنا فيه عند عودتنا إلى كربلاء هو نفس المنزل الأوّل الذي صاحبه هو الحاجّ الميرزا أحمد الشيرازي.

٨- رحلة وقار الدولة، سكينة سلطان (زوجة ناصر الدين شاه)

(وقائع رحلة العتبات ومكة)[1] ١٣١٧هـ

مقدمة:

تأتي أهمية هذه الرحلة من حيث أن المؤلف قد اختار لها اسماً، وذكر أنه أسماها بـ(روزنامه) وكانت كاتبة هذه الرحلة هي السيدة وقار الدولة، زوجة ناصر الدين شاه، بعد أن سافرت ابنة فرهاد ميرزا، وكذلك العلوية كرماني، وتُعد هذه الرحلة ثالثة الرحلات التي قامت بها السيدات آنذاك. ووصل خبرها إلينا، ونظن أن هناك رحلات أُخر قد تم كتابة تفاصيلها فيما بعد (أو، وجدت فيما بعد).

والسيدة الآنفة الذكر، والتي كانت تتخذ من طهران سكناً لها قد عزمت على السفر لأجل زيارة العتبات المقدسة، وأداء مناسك الحج، وكان ذلك في سنة ١٣١٧هـ أي بعد أربع سنوات من مقتل ناصر الدين شاه، وقد اصطحبها في رحلتها هذه أخٌ لها وبمعيّة السيد الميرزا محمد علي خان، وبدأت بكتابة مذكراتها حول الرحلة منذ اللحظة التي عزمت فيها على السفر، وكانت بداية رحلتها يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٧هـ وأما تاريخ عودتها فقد كان في يوم الثلاثاء ٥ ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ وقد وردت أخبار هذه الرحلة في كتاب (سفرنامة سكينة خانم إصفهاني) الملقبة بالحاجّة وقار الدولة زوجة الملك ناصر الدين شاه، وقد كان تاريخ تدوينها يوم الأحد من شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٩هـ أي بعد سنة من عودتها.

نص الرحلة

الجمعة الثاني عشر من رجب، المنزل الثامن والعشرون، لا بد أن نذهب اليوم إلى المسيّب، ولم يكن حالي مساعداً، قريب الظهر وصلنا إلى جسر المسيب، فاستلموا منا التذاكر وبعد الفحص قطعوها وأعادوها إلينا، وقبل أن نصل الجسر قمنا بزيارة طفلي حضرة مسلم(عليه السلام) ثم وصلنا إلى الجسر، ورأينا شط الفرات، وبكينا عنده كثيراً، ومكثنا ليلة واحدة في المسيب، والحمد لله الذي أبقانا أحياء ورأينا هذا اليوم.

كربلاء:

السبت الثالث عشر من رجب، المنزل التاسع والعشرون، لا بد أن نصل اليوم إلى كعبة القُصّاد، واللسان كليلٌ عن شكر هذه النعمة العظمى، والقلم عاجز عن الكتابة وحتى إذا امتلك الإنسان ألف لسان فإنه لن يؤدي شكر هذه النعمة، وألف يد تعجز عن

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الدكتور رسول جعفريان والأستاذ كيانوش كياني. وقد قام بترجمة المقدمة والأصل السيد جاسم سعيد الكلابي.

الكتابة بحقها... يا رب استجب دعوتنا... وعلى ذكر الدعاء عند مشاهدة العتبة المطهرة وذكر الذين قلدونا الدعاء فقد وعدنا لهم بأن يحقق الله أمانيهم ويأتوا لزيارة هذا الإمام العظيم، في القريب العاجل.. لم يبق إلا القليل ونصل إلى العتبة المقدسة للإمام المظلوم، ولا أستطيع بعد أن أصف أحوالي في هذا الوقت.

ولا يخفى على أحد في مثل هكذا يوم ما الذي يجري على الإنسان، والخلاصة نشكر الله تعالى.. اقتربنا جداً من كربلاء والحرم المطهر، بيت جيد ومريح، شربنا الشاي، وجددنا الوضوء، وتشرفنا بزيارة العتبة المباركة لمظلوم كربلاء -عليه آلاف التحية والثناء- تقبل الله من الجميع الزيارة، وزيارتي أنا (الكلب) -مُسودّة الوجه، المليئة بالذنوب، وكذلك الأدعية التي دُعي بها وسيدعى بها إن شاء الله، وبحق هذا المظلوم، وبحق فتية وعيال وأطفال سيد الشهداء(عليه السلام) أن يرحم الله الجميع. وبعد أداء الزيارة والصلاة والدعاء ذهبنا لنتشرف بتقبيل أعتاب حضرة أبي الفضل العباس(عليه السلام) وأقسم على الله بكفّي هذا البطل المغوار، أن يتقبل من الجميع زيارتهم ودعاءهم، ويشفي أمراضهم، وبقينا منشغلين في هذه المدة بتقبيل أنحاء العتبة المقدسة ولم أكتب مذكراتي، وأريد أن يكون كل همي الزيارة وحسب، وإن شاء الله سأكتب مذكراتي بعد المغادرة، إذا بقيت حيّة. بقينا ست ليالٍ في كربلاء.

يوم الجمعة، التاسع عشر، المنزل الثلاثون: في هذا اليوم عزمنا على السفر لزيارة النجف الأشرف، فخرجنا من الحرم، وذهبنا إلى الحرم المبارك لحضرة أبي الفضل العباس(عليه السلام) وتشرفنا بالزيارة، وبعد حصول الإذن بالمغادرة، أتينا فوجدنا المحامل مهيأة، فركبنا ورافقتنا السيدة الجليلة (غُنجة) حتى باب المخيم، ومن ثم ذهبت وواصلنا نحن السير وكلنا شوق لزيارة سلطان الولاية(عليه السلام) وحمدنا الله ألف مرة على وصولنا وقت الغروب إلى (خان المالح) فنزلت واستأجروا لي منزلاً صغيراً، فتناولت الشاي وطعام العشاء، وخلدت للنوم.. كان مسير كل يوم ست فراسخ، صحوت صباحاً، وصليت ركعتي الصبح، وركبت وان المطر يتساقط قطرات قطرات، فواصلنا السير وازداد هطول المطر شدّة وبناء على مقولة الملك الشهيد (نور الله مضجعه) الواردة في كتاب مذكرات السفر إلى العتبات المقدسة، قال: جاء المطر فتنظف أولاً ثم ألق نظرة على المكان النظيف، وحقاً ما قال، أعلى الله درجاته وجعل خُبزه وملحه الذي أطعمنيه حلالاً عليَّ، والزيارة التي زُرتها أنا (مسودّة الوجه) لأجل روحه الطاهرة، أرجو أن يصل ثوابها إلى روحه المباركة، وأتمنى لو أنني من تحت ظله، وإن كانت هذه الزيارة غير مقبولة عندي لنطقي بهذه الكلمات والله إن قلبي يتحرق لذكري إيّاه، وأفقد توازني، وأنا أتلفظ بهذه العبارات أقسم على الله بحق سلطان الولاية(عليه السلام) أن يغفر لي تقصيري.

النجف:

أصبح المطر شديداً، ومن شدة هطول المطر قال لي أخي لنذهب إلى (محل استراحة القوافل) الذي يقع في منتصف الطريق، ونبيت هذه الليلة هناك، ونرحل غداً، فرأيت محمد علي قد أقبل، والحاج السيد محمد علي هو ابن عم سيدتنا، وقال نمكث هنا وهلموا لنذهب، ونصل سريعاً لأن المكان غير آمن هنا، فقال أخي: نعم لنذهب، فسرنا والمطر يزداد شدة حتى غطى الصحراء، ووصل الماء إلى بطون البغال، وفي بعض الأماكن إلى رُكبها، وخلاصة القول إن المطر قام بغسلنا غسلاً جيداً، بقي ساعة ونصف حتى الغروب، والحمد لله وصلنا إلى وادي السلام، وقرّت عيناي لرؤية العتبة المطهرة، أشكر الله ألف مرة أني لم أمت وشملني هذا الفيض العظيم، أسأل الله أن لا يحرم الجميع من مثل هذا اليوم، الذي زرنا فيه الوادي المشرف، وزرنا قنديل النور.. وكلما أردت أن أصف ما أنا فيه من الغبطة لزيارتي العتبة المطهرة عقلي لا يسعفني، ماذا أكتب؟ فقد ألف العقلاء الكثير من الكتب، وأنا عديمة العقل الضعيفة، ناقصة العقل، ما الذي أستطيع أن أقوله عن هذا الرجل العظيم، وهل للنساء عقول (وأنا منهن) والدليل على عدم وجود العقل لدي، وهنا أشهد أنني جراء خوفي من المطر صباحاً بكيت وجرت دموعي مثل المطر، وعندما كتبت هذه العبارات المختصرة نسيت أن اليوم هو الثلاثاء وكتبت أنه يوم السبت، وأصبح معلوماً أنني المسكينة عديمة العقل، كتبت بهذا الشكل والمضمون وخوفي من المطر أنساني عيد الطائفة (أي يوم الجمعة) وأعتقد أنني قد جنيت على باقي النساء بكلامي هذا عنهن وماذا أفعل؟ يا رب هذا عذرٌ أقبح من ذنب، والآن لم أكتب شيئاً، وسأفعل يوم السبت.

عصر يوم السبت، العشرون من رجب، الحمد لله دخلنا النجف الأشرف، وذهبنا إلى بيت السيد محمد علي ابن عم (سيدتنا) ونزلنا ضيوفاً عليه، ترجّلنا، وبعد أن تناولنا الشاي جاؤوا لنا بحطب كثير، لتنشيف ملابسنا، التي لو بقيت هكذا لا تيبس إلا بعد عشرة أيام يوم وليلة مضت على دخولنا إلى النجف الأشرف، وعزمنا على الزيارة فقالوا لنا: لا يمكنكم ذلك، فالذي يريد أن يعبر من مكان إلى مكان لا بد له أن يمشي حافياً ويرفع ملابسه ويخوض في المياه، أو يحمله أحد الحمالين على ظهره.. واليوم كنت ضيفة عزيزة مكرّمة وبقيت في البيت، وهؤلاء المساكين قد أعدوا لنا ما لذ وطاب من الأطعمة مع شدّة المطر وسوء الأحوال الجوية، ومع أننا كنا ستّة أشخاص فقط إلا أنهم صنعوا طعاماً يكفي لثلاثين شخصاً، وخلاصة القول تناولت العشاء وخلدت إلى النوم.

الأحد (٢١) رجب المرجب، البيت، في النجف الأشرف: استيقظت صباحاً، وصليت وتناولت الشاي، وضربت خيمة، وقد

أصروا على أن أبقى في البيت حتى تيبس الطرقات، فلم أقنع بذلك وذهبت وبأي وسيلة عبرت تلك الطرقات ودخلت إلى جنة الأرض وهي في الحقيقة صحن أمير المؤمنين(عليه السلام) وأمررت تراب عتبته المباركة على عيني وحمدت الله ألف مرة ودعوت الله للوجود المبارك لحضرة ظل الله، ملك الملوك، حصن العالم، رفيع الشأن المقدس -روح العالمين فداه- أن يديم عمر دولته ودعوت بدوام الصحة والسلامة وطلب المغفرة له وزيارتي الأولى لأجل ولي نعمتي الحقيقي الملك الشهيد -نور الله مرقده- زرتها نيابة عنه وعن جميع المتعلقين ومن أوصاني وقلدني الزيارة والدعاء، (اللهم استجب دعوات ذوي القلوب التعبى).

روحي فداء لأمير المؤمنين(عليه السلام) فزيارته تغير القلوب، سهل الله للجميع زيارة هذه الجنة العالية.. بقيت إحدى عشرة ليلة في النجف الأشرف، وفي اليوم الأول من شهر شعبان طلبت الإذن من حضرته بالذهاب وببالغ الأسف.

يوم الثلاثاء، الأول من شعبان المعظم، المنزل الثلاثون، مسجد السهلة؛ في الصباح وببكاء شديد وصراخ وعويل، خرجت من الحرم المطهر، عازمة الذهاب إلى مسجد الكوفة، فجلست في المحمل، وخرجت من النجف الأشرف، فأحسست بألم في حلقي (بلعومي) وما أن وصلت إلى مسجد الكوفة حتى أصابتني الحمى، ولم أكن على ما يرام في مسجد الكوفة، صليت في المقامات، وخرجت، ومن شدّة سوء أحوالي نسيت أن أذهب إلى مقام النبي يونس(عليه السلام) لزيارته، وعندما وصلت إلى مسجد السهلة تناولت مقداراً من الدواء، ولم أستطع النوم هناك تلك الليلة وعند الصباح وبما بي من المرض ركبت، وواصلت المسير.

يوم الأربعاء، الثاني من الشهر، المنزل الثالث والثلاثون (خان المالح) بقي ثلاث ساعات وتغرب الشمس، نزلنا في ذلك المكان، واستأجروا لنا بيتاً جيداً هناك حين وصولنا وأعدوا لنا مقداراً من (الآش) فأكلنا، وصنعت دواءاً لحلقي (قرقرة) أو (غرغرة) ونمت وفي صباح اليوم الثالث، استيقظت من النوم، وأديت الفريضة، وركبت، وعلى أمل أن أصل إلى كربلاء المقدسة، أحسست أن حلقي تماثل للشفاء قليلاً، والحمى أصبحت أخفّ بعض الشيء والشكر لله.

يوم الخميس، اليوم الثالث من الشهر، المنزل الرابع والثلاثون، كربلاء المقدسة تعرّقت اليوم وأنا في المحمل، بقي ثلاث ساعات حتى غروب الشمس، دخلنا كربلاء، فتعرّقت كثيراً، ولم أستسغ الذهاب للزيارة لتعرقي الشديد، وذهبت ليلاً، وبقينا في الحرم ساعتين، والحمد لله ببركة وجودي في الحرم أحسست أن حلقي تماثل للشفاء، وفي صباح يوم الجمعة أرسلت خلف طبيب لأتداوى، وأرى ماذا سيحصل بعد ذلك، بقيت طوال هذه المدة في كربلاء، وسوف يأتي (السيد) أيضاً إن شاء الله.

[**العودة**]:

سرنا حتى وقت الغروب، فلاحت لنا القبة المطهرة، عندها توجهنا بالدعاء إلى الله أن يمن علينا مرة أخرى بزيارة حضرة أمير المؤمنين(عليه السلام) وفي وقت الغروب توقفنا للصلاة وبعدها ركبنا بقصد السّفر، وكانت هناك سيدة من خراسان تستقلُّ عربة وتسير أمامنا، فتوقفت قبلنا لتناول العشاء، وكذلك فعلنا نحن وتناولنا العشاء، ودعوناها لتتناوله معنا فرفضت ذلك فسرنا جميعاً وهذه السيدة تنقل الأحاديث الشريفة مرة، ومرّة نراها مشغولة بالدعاء والمناجاة، وخلاصة القول، الأشياء التي لم نرها ولم نسمع بها، رأيناها وسمعناها، وكان هناك شخص مريض معنا في العربة يئن من شدّة الوجع، فوصلنا إلى بعض الأمكنة وكان ذلك في منتصف الليل، وتوقفت العربة، وجاؤوا لنا بالناركيلة والشاي من المقهى ونمنا قليلاً ثم سرنا إلى الصباح وتوقفنا للصلاة، وبعد أدائها ركبنا مرّة أخرى، ولم يمض وقت طويل حتى مررنا ببساتين وحدائق كربلاء، ومن ثم وصلنا إلى موقف العربات فرأينا السيد باقر، والعلوية حرمه، جاؤوا لاستقبالنا وما أن رأتني السيدة العلوية حتى بكت قليلاً، وذهبنا سوية حتى وصلنا إلى الحرم المطهر للإمام الحسين(عليه السلام) وتشرفنا بزيارته، وذهبنا أيضاً لزيارة أبي الفضل العباس(عليه السلام) وانتهينا إل البيت، فرأينا السيدة العلوية قد اشترت خروفاً لأجل ذبحه تيمناً بوصولنا سالمين وماه رُخ (اسم امرأة) شكرتهم على ذلك وحمدنا الله ألف مرة على وصولنا إلى هذا المكان، والآن أنا في كربلاء، وأكتب مذكراتي حتى يحين وقت الرحيل.

يوم الأحد ٣ ربيع الأول، في كربلاء المقدسة: واليوم ذهب السيد الحاج إلى خانقين لجلب جنازة المرحومة والدته، وكان برفقته عدة من العرب والعجم، واستغرق سفره اثني عشر يوماً، ورجع بعد خمسة عشر يوماً وقد جلب معه الجنازة، وأصر السيد هاشم خدّام على دفنها في الصحن المطهر، وكذلك أخي، ورضيت أنا بذلك، وفي الحقيقة كانت خدمة جليلة من السيد هاشم فدفنت وسط الصحن، تحت المصابيح، فارتحنا لذلك، جزاه الله خير الجزاء..

الرجوع إلى النجف:

يوم الأحد، ١٦ ربيع الأول، من كربلاء إلى النجف الأشرف: اليوم وبعد أخذ الرخصة من حضرة سلطان الولاية أمير المؤمنين(عليه السلام) عزمنا على زيارة النجف الأشرف، وقبل

الغروب بأربع ساعات بمعيّة السيدة العلوية وماه رُخ، ضربنا خيمة في الحرم المطهر لحضرة سيد الشهداء (أرواح العالمين له الفداء) وتشرفنا بوجودها هناك، وكان لدى السيد هاشم أخ يدعى سيد عبد الأمير فقام بقراءة الزيارة واستأذن بالذهاب.. وما إن وصلنا إلى (الكيشوانية) رأينا أن السيد هاشم جاء بنفسه ومعه أخواه حتى أوصلونا إلى موقف العربات، وانطلقت العربة بعد تأخر دام ساعة عن موعدها المقرر يومياً، وبقي الإخوة واقفين تحت الشمس حتى أركبونا وقد توسّل إليهم أخي بأن يرجعوا فما فعلوا، وما أعجبهم من أناس غمرونا بمحبتهم، أما عن نفسي فلم أستطع أن أرد ولو مقداراً ضئيلاً من عطفهم ومحبتهم لنا، إلى الآن أطال الله أعمارهم على هذه الخدمة لي ولأخي.. جناب السيد باقر تركناه في البيت مع وسائلنا الشخصية، وأخذت أخي والحاج السيد أحمد معي إلى النجف الأشرف، والعلوية السيدة ماه رُخ والتي كان لها حق برقبتي فقد أديت حقها، وتوكلنا على الله وقد بقي حتى الغروب ثلاث ساعات، وهذه المرة اشتقت إلى زوجة الحاج محمد باقر (مجتهد مشهد مقدس) والتي كانت معنا طوال الرحلة في العربة، فشعرت بالاشتياق لرؤيتها، لأن الإنسان -ولو لمرّة واحدة- إذا جلس مع إنسان آخر فإنه يأنس به، ولكن في هذه الليلة كان اشتياقي لها أكثر.

في وقت الغروب نزلنا عند باب استراحة القوافل لأجل أداء الصلاة، وبعد أنْ صلينا ركبنا وانطلقنا فلم يمض مقدار من الليل حتى وصلنا إلى (مكان استراحة) آخر فنزلنا وتناولنا العشاء، وركبنا مجدداً.. كانت الليلة مقمرة ومع الأسف لم يكن لدى راكبي العربة شيء سوى النوم، ولم يكن أحد منهم مستيقظاً سواي وماه رُخ، وصادفنا في طريقنا عربة أخرى وقد غاصت بالطين فتأخرنا لأجلها ساعة، وفي آخر الليل وصلنا إلى مقهى فطلبنا (نركيلة) حتى أصبح الصباح، فلاحت لنا قبة أمير المؤمنين(عليه السلام) كأنها قبة نور، فنزلنا وصلّينا ومن ثم ذهبنا لزيارة العتبة المطهرة المنورة لسلطان الولاية لأجل رفع الهموم والغموم وانشغلنا بقراءة الدعاء.

يوم الاثنين السابع عشر، مبارك عيد النوروز، ودخولنا النجف، وقت شروق الشمس المضيئة للكون، وكأننا دخلنا إلى الجنة وأعني (وادي السلام) يا له من صباح حسن أدعو الله أن يُسهّل للجميع زيارة هذا الوادي في مثل هذا اليوم (عيد النوروز).. عبرنا الوادي ووصلنا إلى موقف العربات، فنزلنا وأول الأمر ذهبنا إلى الصحن المطهر فرأينا -ولله الحمد- كثرة الزائرين فلم نستطع أن ندخل الحرم المطهر لكثرة الزحام، فسلمنا من الخارج، وذهبنا إلى البيت، وتناولت الشاي ونمت قليلاً، وبعد استيقاظي توجهت إلى الحرم وضربت خيمة هناك، وقد خفّ الزحام.. فقرأ الزيارة المخصوصة لذلك اليوم، جناب السيد حسن خدّام، وصليت ودعوت، وقبّلت الضريح المقدس وخرجت على أمل أن تصل يدي مرة أخرى وألمس الضريح المطهر.. وصلت إلى البيت وتناولت طعام الغداء ونمت حتى وقت العصر، وبعدها تشرفت بالزيارة والطواف حول المرقد المقدس ودعوت للجميع، وعدت إلى البيت وكان الجو في الليل بارداً نوعاً ما، فنمت نوماً هنيئاً.

يوم الثلاثاء، الثامن عشر، في النجف الأشرف، تشرفت بالزيارة صباحاً، حتى يوم الخميس وقررت أن أبقى في النجف حتى يفعل الله ما يريد، جوّ النجف أصبح بارداً قليلاً أكثر من وقت رجوعنا من مكة المعظمة، وحللنا في بيت الحاج السيد محمد علي مهمان، الذي غمرنا بفيض محبته وخدمته لنا، وفي الحقيقة أشعر أنني قد أثقلت على الناس في النجف وكربلاء، وأعجب لما أرى منهم من العطف والحب، وأعجب أنني إنسانة غير مدركة لمعاناتهم لأجلي، ولم أفِ لهم بحقهم، جزاهم الله خيراً، ولا يوجد شيء آخر أكتبه عن أيامي التي قضيتها في النجف الأشرف غير ذهابي إلى الزيارة.

يوم الجمعة، الثاني والعشرون من ربيع الأول، مغادرة النجف، استيقظنا صباحاً وتناولنا الشاي وعزمنا على الزيارة، يا ليوم الوداع وثقله، فإنه شبيه باليوم الذي يودّع فيه الإنسان الحياة، وأطلب من الله بحق هذا الإمام العظيم، أن يتقبل زيارة الجميع ويتقبل زيارتي أنا الضعيفة أيضاً إن شاء الله، وفي الحقيقة فإن لحظات يوم الوداع تمرّ بصعوبة وبأسف بالغ، قبّلت الحضرة المباركة وودعتها، وخرجت متجهة نحو العربة، وركبنا ويعلم الله ما حلّ بي جراء وداعي لوادي السلام، ماذا أقول وماذا أكتب؟ ركبنا وقد بقيت لغروب الشمس ثلاث ساعات، وإلى أن غربت الشمس وليس فوق شفاهي سوى كلمات الزيارة للحضرة المقدسة، ولحظة لحظة حرمنا من فيض النظر إليها، وغابت القبة عن أنظارنا، وصلنا إلى محل (استراحة القوافل) ونزلنا لأداء الصلاة، وركبنا مجدداً.. لم تكن الليلة جيدة بالنسبة لي، فقلبي منقبض، ليلة مظلمة والمسافرون ساكتون، واللحظات تمر بي صعبة للغاية ولا أكذب في القول إذا قلت بأنني بكيت طوال الليل، وأتمنى أن أعود مرة أخرى للزيارة، وعلى أي حال، انقضى الليل والحمد لله، وأصبح الصباح وبعد صلاة الصبح بدت لنا عن بعد حدائق كربلاء، وسكّن ألم فراق أمير المؤمنين(عليه السلام) وجودي عند ابنه الإمام الحسين(عليه السلام) لكن عندما أفكر في ذهابي من كربلاء أجد أنه أصعب من الموت بالنسبة لي ويا حبذا الموت لأكون إلى جوار الإمام(عليه السلام).

العودة مجدداً إلى كربلاء:

يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الأول، دخلنا إلى كربلاء المقدسة، بعد مرور ساعة من هذا اليوم وفي مكان توقف العربات وجدنا جناب السيد هاشم خدّام بالانتظار بصحبة أخيه لغرض استقبالنا، وبعد أن سلمنا عليهم انطلقنا، وفي ذلك اليوم كان دخولنا إلى الحرم المطهر من باب القبلة وتشرفنا بالزيارة ثم ذهبنا لزيارة أبي الفضل(عليه السلام) ومن ثم ذهبنا إلى البيت، وتناولنا الشاي، ونمت قليلاً، ولكن المكان كان حاراً للغاية فطلبت من السيد أن يذهب ويستأجر لنا بيتاً آخر فأجابني السيد الحاج، أن هذا وقت الذهاب وليس وقت استبدال البيت، فقلت له: حتى ولو بقيت يوماً واحداً، لا بد من استبدال هذا البيت لأنني أريد أن أمكث في كربلاء عشرة أيام أخر، إن شاء الله، ولم أكتب شيئاً في هذه الأيام ولم أجده ضرورياً، واستبدلنا البيت، وقررنا أن نغادر صباحاً، وإذا استجد شيء سأكتبه.

٩- رحلة ميرزا داود وزير (رحلة مكة)[1] ١٣٢٢هـ

مقدمة:

كاتب متن هذه الرحلة، المرحوم ميرزا داود حسيني، المعروف بوزير الوظائف في العتبة الرضوية المقدسة، والذي كان يحظى بمكانة مرموقة، وخاصة في حكومة آصف الدولة في خراسان، وفي شهر شوال من سنة ١٣٢٢هـ وفي سن الخامسة والأربعين بدأ رحلته إلى الحج عن طريق مشهد، عشق آباد، باكو، تفليس، ميناء بلغُر، اسلامبول، برت سعيد، إلى قناة السويس ومنها ذهب إلى جدّة، وبعد أداء مناسك الحج وزيارة المدينة المنورة، تشرف بزيارة العتبات المقدسة، وبعدها وعن طريق خانقين رجع إلى إيران، وكانت مدّة رحلته في حدود العشرة أشهر، ومن طيات الكتاب نعلم أنه كان ذا شخصية محليّة يشار إليها بالبنان في خراسان، وفي المدن الأخرى مثل اسطنبول وغيرها، كما انتهى إلينا أنه كان دائماً موضع احترام وتقدير، وكان أيضاً متمكناً من الناحية المادية ويعيش عيشة المترفين، وتبدو هذه السمة ظاهرة عليه أينما حلّ، وعلى الرغم من أنه كان شخصية سياسية، إلا أن لديه معلومات دينية وحوزوية لا بأس بها، وكتب شعراً باللغة العربية يصف فيه الإمام صاحب الزمان(عج) وأما رحلته فقد حُذف أكثرها في هذه الطبعة إلا القسم الخاص بأداء مناسك الحج.

وذكر المؤلف في نهاية الكتاب سلسلة نسبه (الذي ينتهي بالإمام الصادق(عليه السلام)) وأضاف؛ إن هذا الكتاب قد تم الانتهاء من تدوينه في ١٥ شوال سنة ١٣٢٤هـ ونسخة هذه الرحلة موجودة في مكتبة العتبة الرضوية المقدسة (ضمن مجموعة كتب التاريخ) بالرقم العام ٤٥٤٢ ومكتوبة بخط (الشكستة لنستعليق) وتقع في ١٦٥ صفحة. وقد صححت من قبل صديقنا العزيز جناب حجة الإسلام والمسلمين قاضي العسكر، ونشرت بشكل مستقل، ومما جاء في عنوان المقدمة؛ وعلاوة على ذلك، قمنا بحذف كثير من الأوراق التوضيحيّة.

نص الرحلة

أخبار جديدة:

كتبوا أخباراً جديدة: منها هجوم الأرمن، وسقوط جانب من باب (محل قرع الطبول) جرّاء الرياح الشديدة، وفي الرابع من المحرم، ومن عجائب ذلك اليوم، تعرضنا إلى رياح شديدة في منطقة (رابُغ) وقد كتبت حوادث ذلك اليوم، وأما في الليل فقد كان الجوّ حاراً والمكان مليء بالبعوض.

فتوقفنا عشر ليال في كربلاء المقدسة، وكان السادة (الخدم) لطفاء جداً معنا والتقينا (الكليدار) سادن مرقد أبي الفضل (سلام الله عليه) جناب السيد مرتضى وكان سيداً نجيباً ومؤدباً جداً.

يوم الأحد التاسع والعشرون وقبل الغروب بأربع ساعات، استأجرنا عربة (رَبل) وأتينا إلى شاطئ النهر وركبنا (طرّادة) حتى وصلنا إلى دار الصفا، وكانت هناك عربة معدّة للنقل فانطلقنا قبل الغروب بثلاث ساعات، وأول الأمر في اليوم التالي وصلنا إلى النجف الأشرف (على مشرفها آلاف التحية والسلام) وقد اضطررنا إلى تغيير الطريق ثلاث مرات، وفي كل مرة نتوقف قرابة النصف ساعة، لأن المياه قد غمرت الطريق ولولا ذلك لقطعنا المسافة في ثمان ساعات. وأمام مدخل المدينة كان السيد سعيد الخادم في انتظارنا، حسب توجيه من حضرة حجة الإسلام السيد الآخوند والذي قد هيّأ بيته لاستقبالنا، توجّهت فوراً إلى بيته، وهو بيت ممتاز يقع قرب باب الطوسي، استأجره السيّد من صاحبه الميرزا القاضي، وهو أفضل بيوت النجف الأشرف.

ذهبت فوراً إلى الحوض الموجود في السرداب، اغتسلت وتوجّهت إلى الحرم المطهّر لسيّد الأوصياء عليه سلام اللّه، ومسحت جبّتي بغبار تلك العتبة المنوّرة.

كم جميلٌ أن نجد بعد انتظار ... مَا تمنّينا قريباً في الجوار

جاء لزيارتنا عصر هذا اليوم جناب الأغا ميرزا مهدي نجل حجّة الإسلام مع بعض السادة الطلاّب، كما زارنا في صباح الغد حجّة الإسلام والمسلمين الآخوند الملاّ محمّد

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة السيد علي قاضي عسكر.

كاظم[1] (مَنّ اللّه تعالى على الإسلام بطول بقائه) بعد الدرس مع جماعة كبيرة من الطلاّب، ودامت زيارته بين الساعتين والثلاث ساعات؛ وحقّاً قيل: إنّ اللّه لا يعطي الجاه والسلطنة إلاّ لأهلها ومستحقّيها. لقد بزّ هذا العالم كلّ معاصريه واحتلّ قمّة الأخلاق الحسنة والصفات المستحسنة في عصرنا. وقد انتهزت الفرصة وسألته عن كلّ ما كان يدور في بالي من الأسئلة فأجابني عنها.

ما تمتاز به مدينة النجف:

ممّا لا شكّ فيه أنّ النجف الأشرف مدينة قريبة من عالم الآخرة، والطلاّب فيها في أحسن حالٍ وأمثل محيط وهم مرتاضين بالإجبار.

هواء النجف حارّ إلى أبعد الحدود، وفي النهار تشتدّ الحرارة؛ ولولا وجود السراديب لما أمكن ممارسة الحياة اليوميّة. وعندما تهبّ الرياح عصراً فهي بالضبط كما لو أنّ الإنسان يمرّ قرب ألسنة اللهب.

تمازحت مرّةً مع الحاجّ الشيخ جواد -ابن المرحوم الحاجّ الشيخ مهدي الساكن في جوار عبد العظيم، وحفيد المرحوم الحاجّ كني، والذي ورد النجف الأشرف منذ حوالي الثلاث أو الأربع سنوات للدراسة فيها - فقلت له: إنّ كلّ ما ستتلفه بعد عودتك من أموال ونفوس الناس مهما بلغت، إنّما هو ثمن يومٍ واحدٍ من رياضتك هنا.

ليالي النجف أفضل من ليالي كربلاء، فالبقّ هنا أقلّ والنسيم أكثر، إلاّ أنّ النهار حارّ جداً. أمّا الماء فقليل خصوصاً أنّ الريح العاتية غالباً ما تهبّ يوماً في الأسبوع فتدفع الرمال والأتربة لتلقيها في مجاري المياه، وربما كان مقدار هذه الموادّ الملقاة كثيرة بحيث ينسد المجرى الذي يحتاج لإعادة فتحه إلى العمل لمدّة يومين أو ثلاث، وتكون كمّيّة المياه خلال هذه الفترة ضئيلة جداً، حتّى يصل سعر المحمولة منه أربعة قرانات، وذلك ممّا ليس في مقدور الجميع دفعه إلاّ الفئة القليلة الميسورة.

بل إنّ الأتربة حتّى لو كانت قليلة بحيث لا ينسد المجرى إلاّ أنّها تجعل الماء مالحاً مُرّاً لمدّة يومين بعد كلّ مرّة تهبّ الرياح فيها. وقد حصل مثل هذا يوماً خلال تواجدنا ممّا جعل الماء مَجّاً لمدّة يومين.

مسجد الكوفة:

تشرّفت يوم الأربعاء بزيارة مسجد الكوفة، وقبل الظهر تشرّفت بأداء الأعمال المستحبّة وزيارة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ومسجد الحنّانة الذي تفيد الأخبار أنّه هو المكان الذي كان مطبخاً للخولي (لعنه اللّه).

أدّينا واجب التحيّة على كميل بن زياد وميثم التمّار اللذين يقع مرقداهما في الطريق إلى المسجد. ذهبنا ظهراً إلى جنب شريعة الفرات في الكوفة، وكان هناك منزل جميل على ضفّة الشطّ فنزلنا فيه إلى ساعتين قبل الغروب. أمّا حرارة الجوّ فكانت من الشدّة بحيث أنّ وجودنا في هذا المنزل الجيّد جداً ذو الغرف الباردة لم يمنع انصباب العرق من أجسادنا كانصباب الماء من الإبريق.

تشهد الكوفة حركة إعمار جعلتها مزدهرةً إلى حدٍّ ما، وقد بنيت فيها الأسواق العامرة الكبيرة، والخانات الجميلة، والبيوت الممتازة، وحمّامات النساء والرجال الواسعة جداً والجميلة المنظر.

الأبنية المقامة حديثاً هنا في مقابل الشطّ تمتاز بعمارتها المناسبة جداً، وقد افتتح الناس بها دكاكين لجميع الصنائع والحِرَف، فمن المخابز إلى المطابخ، ومن مصلّحي الساعات إلى البزّازين كلّ منهم له دكّانه الخاصّ به.

وتشتمل المنطقة على الكثير من البساتين والمزارع، حيث تعتمد النجف الأشرف في توفير أكثر فواكهها على الكوفة، كما تنتشر فيها المقاهي الممتازة.

---

(١) الشيخ محمد كاظم بن الحسين الهروي (الآخوند) الخراساني: من أشهر مشاهير علماء عصره ومراجع الفتيا والتقليد.

ولد في طوس سنة ١٢٥٥ ونشأ بها. قرأ المقدمات الأدبية والشرعية في خراسان، ثم هاجر إلى النجف حدود سنة ١٢٧٩ وجدّ في تحصيله وحضر الأبحاث العالية في الفقه على الشيخ راضي النجفي، والأصول على الشيخ مرتضى الأنصاري والسيد المجدد الشيرازي.

استقل بالبحث والتدريس في الفقه وأصوله فقصد مجلس درسه المئات من الطلاب العرب والأجانب، وقد أحصي عدد تلاميذه في بعض الليالي فتجاوز الألف.

وتزعم فريق الأحرار الذين قاوموا الدكتاتورية في الانقلاب الدستوري فكان أكبر رجال المشروطة. توفرت دراسات كثيرة عن حياته وجهاده ومقامه العلمي السامي.

له: التكملة للتبصرة في الفقه، حاشية رسائل الأنصاري، حاشية مكاسب الأنصاري، روح الحياة -رسالة عملية-، الفوائد الأصولية والفقهية، كفاية الأصول من أشهر الكتب الدراسية في الحوزات العلمية وكلها مطبوعة.

توفي بالنجف ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ ودفن بالصحن الشريف بحجرة رقم ٢٦.

ترجمته في:

معارف الرجال ٣٢٣/٢، عنوان الشرف ٩٣، أعيان الشيعة ٥/٩، ماضي النجف ١٣٦/١، هدية الرازي ١٤٠، أحسن الوديعة ١٤٦، مع علماء النجف ١١٣، مستدرك أعيان الشيعة ٢٩٥/٦، ونشر به رسالة من المستشرق أدوارد براون إلى المترجم له وجوابه، إجازة الحديث ٤٥، زندكاني وشخصيت أنصاري ٣٤٨، وكتب عنه تلميذه السيد هبة الدين الشهرستاني سلسلة مقالات في مجلة (العلم) الصادرة سنة ١٣٣٠ الأعداد الجزء السابع/ المجلد الثاني، الجزء الثامن/ المجلد الثاني تحت عنوان (طي العوالم في حياة شيخنا الكاظم)، وللأستاذ المرحوم عبد الرحيم محمد علي كتاب (المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني) مطبوع، مشاهير المدفونين ٣٣٠-٣٣١.

أتوقّع لهذه المدينة أن تصبح مدينة كبيرة في المستقبل القريب، وإن كانت الآن أيضاً مشهورة، إذ ربما كان فيها ستمائة أو سبعمائة دكّان، لكن وجود الخمسمائة دكّان ممّا لا ريب فيه.

عند المساء رجعت إلى النجف أوّل المغرب، إذ اعتدت الحضور صباحاً ومساءً في دروس حجّة الإسلام الآخوند.

يلقي الآخوند دروسه في خارج الفقه صباحاً في مسجد الهندي[1] الذي تمتلئ دكّته ورواقه بما يقرب الستمائة أو السبعمائة نفر من الطلبة.

أمّا في المساء فيلقي درسه في الأُصول في مسجد الطوسي[2]، ويحضر هذا الدرس حوالي الألف نفر. لاحظت أنّ الظلام يعمّ ممرّ المسجد ودرجات سطحه ممّا يسبّب الأذى للطلاّب، كما أنّ الماء الذي يجب على الساقي أن يدور به بين الطلاّب العطشى لم يكن توفيره منتظماً لعدم توفّر المتبرّع، وقد وفّقني اللّه إلى توفير مصباح للمكان من جهة والاتّفاق على جلب أربع قِرَب من الماء إلى المسجد كي يوزّعها الساقي على الطلبة كلّ ليلة. وما توفيقي إلاّ باللّه.

دفعت مصاريف الماء الذي تبرّعت به لمدّة سنة إلى الأغا الميرزا مهدي مقدّماً، ووعدتهم أن أدفع هذه المصاريف سنوياً ما دمت حيّاً وما دام المدرس موجوداً، سائلاً اللّه أن يوفّقني لذلك، وقد أبدى الكثير من الطلاّب امتنانهم لذلك.

إنّ ظروف طلبة النجف الأشرف قاسية جدّاً، وأفضل أعمال الخير التي يستطيع الإنسان القيام بها هو مساعدتهم. أرغب في مساعدتهم بمبالغ كبيرة لكن ماذا أعمل مع حظّي العاثر.

وعلى العموم ساعدت الطلبة الخراسانيّين واعتنيت بهم بصورةٍ خاصّة، لكن ليس لذلك القسم الذي كنت أستهدفه.

ومن بين الأخيار الزهّاد في الدنيا الذين قابلتهم في النجف جناب المتشرّع الأغا السيّد مرتضى الكشميري[3]. وقد قابلته مرّتين، والقلم يعجز عن بيان قداسته وزهده. وقد أبدى فائق محبّته، كما أعرب عن احترامه الفائق للمرحوم الشهيد جدّنا مبدياً رغبته واشتياقه للحصول على كتاباته.

واقعتان عجيبتان:

من الوقائع التي حصلت لي في النجف حادثتان يمكن القول أنّهما في عداد الكرامات:

إحداهما أنّ أحد السادة الطلبة - ويدعى السيّد رضا - كان من الطلاّب المتفوّقين ومعروف بقداسته وتقواه الفائقتين. دخل عصر أحد الأيّام إلى الصحن الشريف ولمّا شاهدني أتى وقبّل يدي ملتمساً منّي أن أُحلّله. ولّما أصررت عليه أن يخبرني عن السبب الذي يدعوه لطلب التحليل قال إنّه يخجل أن يخبرني، لكنّه وعدني أن يخبر الملاّ محمّد رضا الشهير بالفاضل النيشابوري وهو أحد الطلاّب الأذكياء والمقدّسين

(١) مسجد الهندي: أكبر جامع في النجف، يقع مقابل باب القبلة للصحن الشريف، ويبعد عن المرقد العلوي جنوباً بحدود (٣٠) متر، وله باب على شارع الرسول، وتقام فيه الصلاة الجامعة بإمامة مرجع ديني، كما يعد مدرسة للحلقات الدراسية والبحث الخارج لطلاب العلوم الدينية، وتعقد فيه الاحتفالات الدينية والمهرجانات الثقافية الإسلامية. أسس هذا المسجد في أوائل القرن الثالث الهجري من قبل أحد أفراد عائلة هندية ثرية.

(٢) مسجد الطوسي: من المساجد القديمة، كانت داراً لشيخ الطائفة أبي جعفر، محمد بن الحسن الطوسي حين مهاجرته من بغداد إلى النجف سنة ٤٤٨هـ وكانت معهداً ومنتدى للعلماء ولم تزل على ذلك حتى وفاته، فأوصى أن يدفن بها وأن تجعل مسجداً بعده، وهو اليوم من أشهر مساجد النجف تقام فيه الجماعة ويحضر فيه أهل العلم للدراسة والتدريس، وقد تعاهدته أعمال الصيانة والإعمار والتجديد.

(٣) السيد مرتضى ابن السيد مهدي ابن السيد محمد ابن السيد كرم الله ابن السيد حبيب الله ابن السيد مهدي ابن السيد رضا ابن السيد حسين القمي ابن السيد محد ابن السيد أحمد ابن السيد منهاج ابن السيد جلال ابن السيد قاسم ابن السيد علي ابن السيد حبيب ابن السيد حسين ابن أبي عبد الله السيد أحمد نقيب قم ابن السيد محمد الأعرج ابن السيد أحمد ابن السيد موسى المبرقع ابن الإمام الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)... القمي الرضوي الكشميري النجفي.
من أكابر الفقهاء والمجتهدين، وأهل العلم والفضيلة، والعبادة والزهد، والنسك. له التضلع الوافر في علم الحديث، والسير والأخلاق، وكان قوي الحافظة والاطلاع بالأخبار والتتبع لسير الأوائل، من علماء ورواة الحكمة والأخلاق، وكان كثير البحث والمطالعة. ولد سنة ١٢٦٧هـ قرأ المقدمات والأوليات عند والده والسيدة والدته، وعلى بعض أعلام عصره وتصدّى في حينه للتدريس والتأليف وفي عام ١٢٨٤هـ هاجر إلى النجف الأشرف، وواصل فيها التدريس والبحث وحضر درسه جمع غفير من الفضلاء وأجلاء الطلاب. وكان يقيم في إحدى حجرات الصحن الحيدري، الطابق الثاني إلى أن تخرج على المولى محمد الأردكاني. والشيخ حبيب الله الرشتي، والسيد محمد حسن الشيرازي، والسيد حسين الكوه كمري، والشيخ محمد حسين الكاظمي، وبلغ مرتبة عالية من الاستنباط والخبرة، والاجتهاد غير أنه آثر العزلة وانصرف إلى التهذيب والسلوك والعبادة والتهجد، إلى أن توفي في كربلاء ١٣ شوال حدود ١٣٣٣هـ وعقبه: السيد محمد، والسيد علي.
له: تقويم المحسنين، حاشية رياض المسائل، رسالة في معرفة البعد بين البلاد، شرح تحرير الطوسي، شرح اللمعة، شرح الهداية، شرح القوانين، العروة الوثقى في الاسطرلاب، كشف الضمائر، مواضيع ورسائل مختلفة في العلوم الإسلامية، ولما كان المترجم له بعيداً عن التظاهر والشهرة فقد أتلف كافة مؤلفاته ولم يبق منها غير أسمائهم في المعاجم.
ترجمته في: أعيان الشيعة ٥٣/٤٨، الذريعة ٢٣٧/٢، ماضي النجف ٨٣/٣، مصفى المقال ٤٥٧، معارف الرجال ٤٠٩/٢، معجم المؤلفين ٢١٧/١٢، مكارم الآثار ١٩١٥/٦، نجوم السماء ٢١٩/٢، هدية الرازي/١٥٧، معجم رجال الفكر والأدب ١٠٨١/٢-١٠٨٢.

وكان من مرافقينا في البرهة الأخيرة، وسيقوم هذا الأخير بإبلاغي عن ذلك السبب.

وكان ممّا قاله وأفاده أنّ هذا السيّد كان قد رآني في خراسان، ولمّا كنت في تلك الآن في حالة العبور وقد شغلتني مشاغل السفر عن الاعتناء بمظهري ممّا أدّى إلى أن تطول شاربايَ، فلمّا رآني السيّد على هذه الحالة تفوّه ببعض العبارات متصوّراً إنّني قد صرت ملاّ سلطاني ودرويش.

ولمّا حلّ الليل شاهد هذا السيّد في منامه سيّد الأوصياء سلام اللّه عليه وقد حضر في بعض المجالس، ثمّ رآني وقد تشرّفت بالحضور بين يدَي هذا الإمام باهر النور، ثمّ دخل السيّد وسلّم على الإمام فأجابه قائلاً: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، لماذا أسأت الظنّ بولدنا السيّد هذا ؟ ثمّ استيقظ الحالم من نومه.

وقد سرّني تعبيره (ولدنا) أيّما سرور، فشكرت اللّه على هذه التحفة.

شراء جارية:

أمّا الواقعة الثانية فهي واقعة الجارية التي كنت أرغب في شرائها من مكّة ولكنّ الاستخارة جاءت غير مساعدة فامتثلت لها. ولمّا عدنا إلى النجف زارتنا زوجة الحاجّ محمود العكّام لرؤية الأهل، وقد تشعّب الحديث حتّى وصل إلى حديث الجارية، فقالت:

إنّ أحد جيراننا - ويدعى الحاجّ خضير - عنده جارية حسنة الأخلاق، وأنّ هذه الجارية مضى عليها ثلاثة أيّام وهي غاضبة ترفض تناول الطعام وتقول إنّها ذهبت إلى الحرم وطلبت من أمير المؤمنين أن يرسل لها واحداً من العجم يشتريها، وما لم يحصل ذلك فلن أتناول أيّ طعام حتّى أموت.

ولمّا مدحتْ الجارية مدحاً وافياً أرسلت في طلبها فجاؤوا بها وكان اسمها (بُشرى)، استخرت اللّه في شرائها فجاءت الآية المباركة ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾[2]. واشتريتها بثمنٍ مناسب.

لمّا مضى على هذا يومان أو ثلاثة وقد عادت تأكل وتشرب بدأت في التعافي وعاد ماء الحياة في وجهها وتحسّن حالها كثيراً.

أمّا أنا فقد سررت كثيراً لاستجابة دعائها وتفضّل الأمير سلام اللّه عليه بانتخابه لي لأداء هذه الخدمة.

دعوة غداء:

دعانا حجّة الإسلام الآخوند يوم الجمعة لوليمة غداء أعدّها إعداداً ممتازاً وتحمّل في ترتيبها أقصى العناء.

(١) سورة الحجرات ٤٩، الآية ١٢.

(٢) سورة يوسف ١٢، الآية ٩٦.

ولم تكد تمضي عشرة أيّام على بقائنا في النجف حتّى استأجرنا عربةً عدنا بها إلى كربلاء.

بقينا في كربلاء المقدّسة عشرة أيّام أُخرى، والحقيقة أنّ المتشرّع الأغا الحاجّ الشيخ علي وجناب حجّة الإسلام السيّد الصدر وجناب الأغا الحاجّ الشيخ حسين ابن الشيخ قد أظهرا غاية الكرم والضيافة.

إنّ السيّد الصدر طيّب المعاشرة إلى أقصى الحدود، وهو صديق وفيّ، وقارئ للشعر وعالمٌ به، وأُستاذٌ في المثنوي. قرأ لنا بعضاً من غزليّات المرحوم أخيه، فسررت بها كثيراً.

وهذه بعض أبياته الشعريّة أنقلها في هذا الكتاب إحياءً لذكراه، وأنا أظنّ أنّها له[3]:

رازی کـه نگفتنـد نـی‌اش نـام نهادنـد
نـی دم زد از آن راز، نـی‌اش نـام نهانـد
در آیینـه جـام ز عکـس رخ سـاقی
دیدنـد خیـالی ومـی‌اش نـام نهادنـد
صد نکته باریك‌تر از موی چه دیدند
او را بـه مثـل زلـف وی‌اش نـام نهادنـد

١٠- رحلة السيد أحمد هدايتي

(رحلة الحج)[4] ١٣٣٨هـ

مقدمة:

السيد أحمد هدايتي بن السيد هدايت الله، من أحفاد السيد حسين كركي، وحفيد بنت المحقق الكركي. وعائلة عاشت في العهد الصفوي، وكانت في عهدتهم سدانة مرقد السيد عبد العظيم (عليه السلام)، وكان عالماً روحانياً معمّماً تولى مناصب في الدولة بعد أبيه... وكان وسيماً معروفاً لدى من حوله بالتدين والتقوى، وكانت رحلته إلى الحج في سنة ١٣٣٨هـق/١٢٩٩ش، مصطحباً معه أحد علماء وقته في مدينة (شهر ري) يُسمى بالسيد أحمد الطالقاني، وقد سافر بعد أن أخذ الإذن من والده بذلك. وطبعت (سفرته) في سنة ١٣٤٣ بواسطة ولده. ولهذه الرحلة أهميتها الخاصة من عدة أوجه، فقد وقعت في زمن

(٣) نظراً لما تسلبه الترجمة من جماليّات هذا النوع من الشعر الذي يعتمد على المحسّنات البديعيّة والتلاعب بالألفاظ، لذا أوردناه بلغته الأصليّة، مع ترجمته نثراً في الهامش. وهذه ترجمته:
١- لمّا لم يعرفوا السرّ أنكروه، ولمّا أفشاه النيّ أسموه نيّاً.
٢- ولمّا رأوا صورة وجه الساقي في مرآة الكأس تخيّلوا خيالاً أسموه شرابا.
٣- ولمّا رأوا كثرة النقاط الباهتة وهي لا تساوي شعرةً، تخيّلوها ظفائر المحبوب. (المترجم)

(٤) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة السيد علي قاضي عسكر.

كانت فيه الأوضاع في البلاد العثمانية - والعربية سيئة جداً، والجزيرة العربية بقيادة الملك حسين كانت تسعى جاهدة للاستقلال، فألقت بظلالها على مسألة الحج. مما جعل الحجاج الشاميين ينقطعون عن المجيء في تلك السنة، بسبب عدم توفر الأمن في كافة الطرق المؤدية إلى مكة، وكذلك الأوضاع المضطربة في إيران وبالتحديد في مدينة كيلان ومن ثم قيام السيد ضياء الدين الطباطبائي في طهران، ونلاحظ نتفاً من أخبارها في طيات مدوّنة هذه الرحلة، وبعيداً عن كل هذا فإن كتابة متن هذه الرحلة تم في وسط عصر قديم وعصر جديد، وكان هنالك تحول في مسألة الحج، وفي الأحوال الاجتماعية، والمدنية والثقافية، وعلى مختلف الصعد. ففي ٢٦ شعبان سنة ١٣٣٨ ابتدأ بالسير، وأما العودة فكانت في ١٣ رجب ١٣٣٩هـق، ومدّة الرحلة على هذا الأساس (١٠ أشهر ونصف) والسبب في ذلك هو زيارة العتبات المقدسة ذهاباً وإياباً، والإقامة الطويلة عندها، وتساقط الثلوج والبرد الشديد مما حدّ من سرعة السير بين العراق وإيران، وكان قد توجه من طهران إلى قزوين، همدان كرمانشاه وبعدها إلى بغداد، وبعد أن زار الإمامين(عليهما السلام) ذهب إلى البصرة، ولم تكن هناك سفينة تقلّه إلى جدّه فركب في سفينة وتوجّه إلى كراجي، ليركب سفينة من هناك إلى جدّه، ولم يتم له ذلك فذهب إلى بومباي ومنها إلى جدّه، وبعد خوف شديد من عدم الوصول بالوقت المحدد إلا أن السفينة وصلت في الثالث من ذي الحجة، وقد أدى أعمال الحج براحة واطمئنان، وكان رجوعه كما ابتدأ به من قصر شيرين، ثم كرمانشاه، همدان، مروراً بقم إلى طهران.

نص الرحلة

اليوم السبت الخامس من جمادى الأُولى: الموافق للخامس والعشرين من برج الجدي غادرنا الكاظمين إلى بغداد أنا والحاجّ السيّد أحمد في نيتنا التوجه لزيارة كربلاء المقدّسة بعد أن حجزنا تذكرة السفر بالعربة بتاريخ الغد.

بتنا الليلة في الفندق الإسلامي الجميل جداً والمبنيّ حديثاً، وهو فندق نظيف استرحنا فيه.

قبل أذان الفجر من صباح الأحد جاء فرّاش شركة السفريات وأيقظنا. صلّينا الصبح وتوجّهنا إلى إدارة الشركة وركبنا في العربة. بعد مضيّ ساعتين على شروق الشمس وصلنا إلى المحموديّة[1]، تناولنا الغداء في المسيّب. أثناء مسير العربة شاهدنا العديد من البيوت التي أحرقها الإنجليز وهدّموها في حربهم مع العرب.

قبل الغروب بساعة وصلنا إلى كربلاء المقدّسة، وتوجّهنا إلى بيت السيّد كاظم الخادم، وقضينا أربع ليالٍ في زيارة وتقبيل عتبة جدّنا المظلوم سيّد الشهداء (عليه السلام).

كان بحوزتي ورقة من الناحية المقدّسة يعود تاريخها إلى ما قبل الشهرين، ليس فيها ما يزيل المخاوف من نتيجة الاضطرابات الحاصلة في گيلان وحوادث طهران الأخيرة.

النجف وكربلاء:

اليوم هو الأربعاء التاسع من شهر جمادى الأُولى، الموافق للتاسع والعشرين من برج الجدي، وقد تحرّكت عربة الشركة بنا في الصباح الباكر من كربلاء المقدّسة عازمين زيارة النجف الأشرف. استبدل الحوذي خيول العربة في ثلاثة أماكن هي خان النخيلة وخان المالح وخان المصلّى. وصلنا النجف الأشرف قبل الغروب بساعة، ونزلنا في بيت رفيق سفرنا إلى مكّة الحاجّ السيّد عزيز اللّه النجفي، وبقينا في ضيافته خمسة أيّام وُفّقنا فيها إلى تقبيل عتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) والتماس بركات عنايته.

في أثناء ذلك ذهبنا أحد الأيّام إلى الكوفة ووفّقنا لأداء أعمال المسجدين[2] وزيارة مسلم بن عقيل (عليه السلام).

كما التقيت بالأغا السيّد محمّد تقي النجفي حضرة عبد العظيمي، وكان لدي رسالة أُخرى واردة من والدي المعظّم عن طريقه يعود تاريخها أيضاً إلى ما يقارب الشهرين قبل الآن، وليس فيها ما يزيل الغموض والاضطراب ولا ما يوجب التسلية والاطمئنان حول حوادث طهران.

اليوم هو الأحد الثالث عشر من جمادى الأُولى الموافق للثالث من برج الدلو. تحرّكت عربة الشركة بنا في الصباح الباكر من النجف الأشرف ودخلنا كربلاء المقدّسة عصراً. بقينا في كربلاء يومين آخرين وفّقنا فيها للتشرّف بزيارة وتقبيل عتبات سيّد الشهداء (أرواحنا فداه). كان مضيّفنا في هذه المرّة كما في المرّة السابقة هو الأغا السيّد كاظم الخادم حيث استقبلنا في بيته.

اليوم هو الأربعاء السادس عشر من جمادى الأُولى، الموافق للسادس من برج الدلو، غادرنا كربلاء المقدّسة بالعربة واتّجهنا إلى بغداد التي وصلناها حوالي العصر. وفيما كانت الأمطار تهطل ذهبنا إلى الكاظمين بالقطار. حتّى الآن لم تكن البرقيّات قد وصلت بعد، في حين تتناقل الأفواه والألسن الشائعات حول أخبار الحرب بين الروس وإيران وما يحدث في طهران من الثورات والتمرّدات.

أخيراً، وخلال أسبوع واحد وصلت أجوبة برقيّات جميع الحجّاج وغيرهم، وقرّر المسافرون جماعة بعد جماعة العودة

(١) المحمودية: مركز قضاء تابع لمحافظة بغداد، وهي مدينة عامرة تقع على طريق بغداد - الحلة، على مسافة ١٥كيلومتر عن بغداد جنوباً، وعن الحلة ٩٠كيلومتر.

(٢) مسجد الكوفة، ومسجد السهلة.

إلى أوطانهم. أمّا نحن فقد وصل جواب برقيّتنا والحوالة البرقيّة يوم الثلاثاء الثاني والعشرون من جمادى، فتهيّأنا على الفور للمغادرة، ولم يتسنّ لنا حتّى الآن معرفة مدى صحّة أو سقم الأخبار المختلفة التي تصل مسامعنا، لذلك لم نستطع التخلّص ممّا نحن فيه من تشوّش البال واضطراب الفكر، ممّا جعلنا نرغب في التعجيل بالسفر والعودة.

وخلاصة الكلام هي أنّنا منذ بداية عودتنا للعراق لم نكن نشعر بلذّة السفر وروح الفرح والنشاط في أنفسنا.

زيارة الوداع:

يوم الجمعة، الخامس والعشرون من جمادى الأولى، الموافق للخامس عشر من برج الدلو. بعد الاستفسار والتحقيق عن وقت حركة السيّارة من بغداد إلى قرهتو وحصولنا على الخبر الأكيد، قمنا اليوم وللمرّة الأخيرة بزيارة الوداع في حرم الإمامين الكاظمين ثمّ ذهبنا إلى القطار. وبعد توديع معارفنا الذين كانوا قد جاؤوا لمشايعتنا؛ صعدنا إلى القطار واتّجهنا إلى بغداد، واسترحنا في المقهى الموجود في محطّة القطار. في الساعة السابعة ليلاً وصل القطار فاشترينا تذكرة بقيمة تسع روبيات وأربع عانات وصعدنا إلى القطار، وفي العاشرة مساءً بدأ القطار بالحركة.

أغلب المسافرين كانوا من العرب، وكانوا يترجّلون من القطار بالتدريج خلال الطريق. أمّا المسافرون الإيرانيّون فكان عددهم يتراوح بين العشرة والاثني عشر شخصاً.

يوم السبت كان القطار يواصل حركته، ولا يتوقّف إلاّ عدّة دقائق عندما يصل إلى إحدى المحطّات. دخلنا عصراً في نفقين صغيرين يستغرق قطع كلّ واحدٍ منهما أربع إلى خمس دقائق.

مساء الأحد توقّف القطار في خانقين، فنمنا نحن في نفس العربة نوماً مريحاً.

١١- رحلة محمد حسين منشي زاده اليزدي (رحلة مكة) ١٣٣٩هـ

مقدمة:

هذه الرحلة تُعد الأخيرة من رحلات الحج في عهد القاجاريين، ألا وهي رحلة أحد الرومانيين ذوي المكانة، المدعو باليزدي، واسمه محمد حسين منشي زاده، وكان تاريخ هذه الرحلة في سنة ١٣٣٩هـق، في شهر رمضان ٢٦ منه، الموافق لسنة ١٣٠٠شمسية في شهر فرداد، وكانت الانطلاقة من مدينة يزد، وبعد طي المسافة من يزد إلى شيراز ومروراً بكازرون وبرازجان، ذهب إلى ميناء بوشهر ليستقل سفينة إلى جدّة، وبعد أن أدى منشي زاده أعمال (حج التمتع) عزم على الذهاب إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى ينبع وبعد ذلك رجع إلى جدّة، ومنها اتخذ طريقه بعد أن ركب سفينة مروراً بمعبر عدن إلى بومباي.

وبعد رجوعه من بومباي ركب سفينة وتوجه نحو (الخليج الفارسي) ومنه إلى البصرة فالناصرية، ومنها ذهب إلى النجف الأشرف، وكربلاء، وعند ذلك عن طريق البحر رجع إلى بومباي، وعن طريق مدينة كويته، وزاهدان وبيرجند، قصد الذهاب إلى مشهد ومن ثم إلى نيشابور، وسبزوار، وشاهرود، وطهران، ومنها إلى قم وكاشان، وفي النهاية رجع إلى مدينة يزد، وقد توفي الكاتب في سنة ١٣٢٣ شمسية.

نص الرحلة

الناصريّة:

ترجّل بعض المسافرين في الناصريّة. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصلنا إلى الحميرة، وفي الواحدة والنصف إلى السماوة. المكان زاخر بالعمران والخضرة وأغلب أراضيه زراعيّة.

استأنفنا الحركة في الساعة الثانية وعبرنا جسرين عظيمين يزيد طول الواحد منهما على المائة ذراع منصوبين على نهر الفرات، وتبلغ المسافة بينهما حوالي النصف فرسخ.

أكثر المنطقة الممتدّة بين الناصريّة وهذا المكان يغلب عليها العمران والبيوت الطينيّة والحصيريّة، وبين الحين والآخر تقع العين على قطيعٍ من البقر يرعى على الأعشاب.

الأراضي الزراعيّة هنا وفيرة. ويظهر من تدفّق العربات والسيّارات وغيرها وهي تسير بنفس اتّجاه حركتنا، وعدم وجود الحركة بالاتّجاه المعاكس أنّ هذا الطريق هو طريقٌ حكوميّ.

على طول المسير يتواجد العديد من العرب الذين كانوا يحيّوننا عند عبور القطار.

في الساعة الخامسة بعد الظهر وبعد عدّة توقّفات في بعض المراكز وصلنا إلى الديوانيّة[١]، وبعد المرور بخان الجدول[٢] والحمزة بن العبّاس[٣] وخيبر[٤] يبلغ طوله حوالي الثمانين ذراعاً والعديد من بساتين النخيل وصلنا إلى الحلّة في

(١) الديوانية: مركز محافظة الديوانية، مدينة متوسطة قائمة على نهر الفرات - فرع الحلة، تقع جنوب بغداد بمسافة ١٩٣كيلومتر.

(٢) خان الجدول: محطة للسكة الحديدية بين الديوانية والحلة، تبعد عن الأولى غرباً بمسافة ١٩كيلومتر، وعن الثانية ٦٨كيلومتر.
وبالقرب من المحطة جسر حديدي يمر عليه قطار بغداد - البصرة.

(٣) الحمزة بن العباس: يقصد به مرقد الحمزة الغربي، وقد مرّ التعريف به.

(٤) ربما كان المقصود من الخيبر هو الجسر.

الساعة السادسة مساءً. ولمّا كان محلّ ترجّل واستراحة المسافرين قد تمّ تعيينه مسبقاً وكان القطار قد تجاوزه بمسافة طويلة ويجب علينا العودة إليه، لذلك كانت عمليّة جلب الأمتعة والأغراض شاقّة كثيراً بالنسبة لنا.

لم يكن أمامنا سوى المبيت هنا، حتّى حلّ الصباح فجاء الحمّالون وأخذوا أمتعتنا ووصلنا إلى مدخل الحلّة. ولمّا كانت السيّارات غير متوفّرة هنا؛ اضطررنا إلى البحث الشاقّ حتّى وجدنا عربةً قديمة بالية فاستأجرناها وركبنا فيها متوجّهين إلى النجف الأشرف.

في الساعة الثانية عشرة حيث كان الجوّ حاراً بتأثير أشعّة الشمس مررنا بالمحموديّة. غالباً ما تكون الأراضي هنا قاحلة جرداء.

في هذا المكان غيّرت التشغيل اليوميّ للساعة من التشغيل ظهرا إلى التشغيل غروبا[1].

في الساعة الرابعة وصلنا إلى البحر العبّاسي[2] الذي تتجاوز مساحته المائة فرسخ.

في الساعة الخامسة وصلنا الكوفة، ونزلنا عند ضفّة الشريعة، وجلبنا أمتعتنا الموجودة على السكّة التي تبعد عن عربة القطار مائة ذراع، وركبنا.

يمرّ خطّ السكّة[3] قرب مسجد الكوفة، ومرقد مسلم وهاني قرب المسجد، وفي الجانب الأيسر منه يقع منزل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومرقد ميثم الذي يمكن رؤيته بالعين المجرّدة. كما أنّ مسجد السهلة بادٍ للعيان في الجانب الأيمن.

النجف الأشرف:

الساعة السابعة من يوم السبت، العاشر من شعبان ١٣٤٠ وصلنا إلى بوّابة النجف الأشرف. ولمّا كنت ناوياً على الذهاب إلى منزل آية اللّه الفيروزآبادي[4] سلّمت الأمتعة إلى الحمّال وتوجّهت إلى باب الصحن الحاوي على قيصريّة عامرة مستقيمة تتيح للزائر التشرّف برؤية الحرم مباشرةً من باب الصحن.

يتواجد هنا مجموعة من خدم الحرم مشغولين غالباً بتوجيه الزوّار إلى عناوين المنازل.

أخيراً ولمّا لم يكن آية اللّه موجوداً في المنزل، قال أحد أبناء السادة وكان متواجداً هناك إنّه سيذهب لإخباره. بعد مدّة جاء السيّد مرتضى ابن آية اللّه[5] فعرّفت نفسي له وذهبت معه إلى منزل آية اللّه الواقع إلى جانب أحد الميادين الصغيرة.

ولمّا كنت في غاية التعب والإرهاق لم يتسنّ لي التشرّف بزيارة الحرم المطهّر، قانعاً بزيارة آية اللّه وإدراك فيوضات الحضور بين يديه.

---

(١) ليس من الواضح تماما ما هو مقصود الكاتب، ولكن ربما كان المقصود هو تغيير التوقيت من الإفرنجي إلى التوقيت العربي المتّبع في المراقد المقدّسة والذي تبتدئ ساعاته من غروب الشمس. المترجم

(٢) يقصد نهر الفرات الذي يقوم عليه جسر العباسيات على مسافة ١٨كيلومتر شمال الكوفة، يقع وسط طريق الكفل - الكوفة.

(٣) هو المحجة الحديدية الأهلية، وقد قام بإنشائه الحاج عبد المحسن شلاش والسيد جواد الرفيعي، وعبد الرحمن الباججي، وآل القايمقاجي، والسيد ناصر كمونة والحاج باقر شعبان، والحاج عباس فضل وشركاؤهم بتأسيس شركة تتعهد بنقل المسافرين بين النجف والكوفة، وأجيزوا عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م. وشرع بمدها بين البلدين المذكورين وابتدأ السير فيها بتاريخ ١ رمضان ١٣٢٧هـ

ولها مركزان أحدهما في النجف بساحة الميدان والآخر في الكوفة، ونظراً لكثرة السيارات وعدم رغبة المسافرين للركوب فيها فقد بيعت أنقاضها عام ١٣٦٨هـ «انظر تاريخ الكوفة الحديث ١/٢١٨-٢١٩».

(٤) السيد محمد ابن السيد محمد باقر الحسيني اليزدي الفيروزآبادي: فقيه كبير ومن مراجع التقليد والفتيا، وأساتذة الفقه والأصول، متضلع فيها، متواضع ورع صالح عابد حسن الأخلاق كريم الأعراق طيب المعشر. ولد في فيروزآباد سنة ١٢٦٥هـ وأخذ مقدمات العلوم في مدينة يزد، وهاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على السيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ حسن الأردكاني، واستقل بالتدريس وصار مرجعاً للتقليد بعد وفاة أستاذه السيد اليزدي، وكان محبوباً عند الجمهور تصغي إليه العامة إذا تحدّث بحديث لدماثة أخلاقه، ولين جانبه وبشاشته وتقديره وإكباره للضعفاء، وكانت له صلاة جماعة في الصحن الحيدري، مات آخر ربيع الأول ١٣٤٥هـ وخلفه: السيد مرتضى.

له: إزاحة الشكوك في حكم لباس المشكوك ط. رسائل في الفقه. مناسك الحج والعمرة. حاشية العروة الوثقى. مجموعة الأحاديث الأخلاقية والمواعيظ.

ترجته في: أحسن الوديعة ٢/٩٧، الذريعة ٥/٦٩ وج٦/١٤٩ وج٢٠/٦١، علماء معاصرين/١٣٧، كتابهاي عربي جابي/٢٤٤، ٢٨٧، ٢٨٩. المطبوعات النجفية/١٣٦. معارف الرجال ٢/٣٨٨. معجم المؤلفين ١١/١٣٤. مكارم الآثار ٦/٢٠٩٨. ريحانة الأدب ٤/٣٦٤. نجوم السماء ٢/٢٨٢. معجم رجال الفكر والأدب ٢/٩٥٥.

(٥) السيد مرتضى ابن السيد محمد الحسيني الفيروزآبادي: عالم عامل مجتهد فاضل مؤلف متتبع محدث محقق، طيب السريرة ملم في الحديث وأسانيده، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٢٩هـ وأكمل مقدمات العلوم والسطوح على بعض الأعلام، ثم حضر على الميرزا علي الأيرواني، والميرزا أبو الحسن المشكيني، والشيخ محمد كاظم الشيرازي، والسيد أبو الحسن الإصفهاني، ثم انصرف إلى التحقيق والتأليف والتتبع، وقد عرف منذ صغره بالفضيلة والقداسة والورع والتقوى والاستقامة، وعلى أثر العاصفة السياسية المدمرة هاجر من النجف الأشرف عام ١٣٩٠هـ واستوطن مدينة قم وواصل البحث والتصنيف. مات يوم الثلاثاء ١٧ ذي الحجة ١٤١٠هـ له من البنين: السيد محمد، السيد علي، السيد حسن.

له: تعليقات على بعض الكتب الفقهية والأصولية، السبعة من السلف ط. العذاب المؤبد في مطاعن أعداء آل محمد(صلى الله عليه وآله)، عناية الأصول في شرح كفاية الأصول ١-٦ ط. الفروع المهمة في أحكام الأمة ١-٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١-٣ ط.

ترجمته في: كتابهاي عربي/ ٦٧٢، المطبوعات النجفية/٢٥١، معارف الرجال ٢/٣٨٩، معجم المؤلفين العراقيين ٣/٢٩٣، معجم رجال الفكر والأدب ٢/٩٥٥-٩٥٦.

في الصباح توجّهت بمعيّة آية اللّه إلى الحرم وقمت بزيارة المواقع المندوبة. ثمّ قمت بعد ذلك بزيارة الحرم يوميّاً عصراً ومساءً بنفسي. حتّى الآن لم تصل جنازة المرحوم أخي.

سألت في النجف عن عنوان منزل الحاجّ علي أصغر التفتي، لم يدلّني أحد عليه رغم كثرة مَن سألتهم، حتّى جاءت امرأة ودلّتني على منزله.

تبيّن بعد التحقيق أنّ آية اللّه الحاجّ الميرزا السيّد علي المدرّسي قد سافر، ولا يوجد فعلاً أيّ أحدٍ في منزل الحاجّ علي أصغر التفتي.

ذهبت في اليوم الماضي إلى مقبرة آية اللّه الطباطبائي اليزدي[1] والحاجّ الشيخ مرتضى وقرأت الفاتحة على روحَيهما.

يوم الثلاثاء الثالث من شعبان ذهبت برفقة الميرزا حسن المالميري بالعربة إلى الكوفة، وصلّينا في مقاماتها الثلاثة عشر ودعونا اللّه فيها.

ذهبنا في البداية إلى مسجد السهلة، وإلى مسجدَي صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان، ثمّ تشرّفنا بزيارة مسلم والمختار وهاني بن عروة، ثمّ زيارة بيت أمير المؤمنين(عليه السلام)، كما ذهبنا إلى شريعة الكوفة.

ولمّا لم تكن عربة العودة موجودة تشاغلنا بالتجوال في السوق وضفاف الشطّ، قبل الغروب بساعة وصلت العربة وانطلقت عائدةً بنا، وعبرت قرب المسجد ممرّاً ليس بالواسع يقع بين تلّين، في حين كان باقي الطريق صحراويّاً منبسطاً.

يقع مرقد كميل قرب وادي السلام ومسجد الحنّانة، ولم نتمكّن من زيارتهما. حوالي المغرب عدنا إلى النجف وتشرّفنا بزيارة الحرم، وهناك مررت بآية اللّه الفيروزآبادي للسلام عليه.

توجد في مقامات الكوفة لوحات صخريّة غالباً ما تكون مرمريّة أرسلها محمّد تقي خان وعلي نقي خان ونصبت هناك في عام ١٢٢١، على بعضها خطوط وكتابات بخطّ عبد العليّ النوّاب.

كربلاء:

ركبت السيّارة متوجّهاً إلى كربلاء للتواجد هناك في النصف من شعبان. في الساعة السادسة من ليلة النصف من شعبان دخلت الحرم المطهّر برفقة الحاجّ الميرزا علي رضا عرب، وبقينا هناك حتّى الصباح مشتغلين بالزيارة والدعاء للأقارب والأصدقاء. كما تشرّفنا بالذهاب إلى حرم أبي الفضل(عليه السلام) حيث قمنا بزيارته أيضاً.

التحق بنا الحاجّ محمّد حسين الخرّمشاهي والحاجّ محمّد حسين ابن شقيق الحاجّ علي نقي والحاجّ السيّد جواد الهمداني، وكان ذلك أمراً مفرحاً بهيجاً.

بعثت برقيّة القدوم إلى يزد، وعلمت بعد الاستفسار أنّ الحاجّ الميرزا السيّد علي المدرّسي يرافقه السيّد راجي قد ذهبا إلى الكاظمين في الأسبوع الماضي.

أسكن هنا في منزل الأخوان عرب، وحيث إنّ المنزل متّصل بالحرم، يمكنني مشاهدة قبّة الحرم كلّما صعدت إلى سطح الدار في الليالي.

يوم الجمعة السادس عشر من شعبان قمت بزيارة موقع تلّ الزينبيّة، ويوم السبت السابع عشر...

---

(١) السيد محمد كاظم ابن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي:
الفقيه الأصولي الكبير، الزعيم الديني الجليل، والفقيه الأعظم والرئيس المطلق الذي لا يدانيه أحد. وكان بحراً متلاطماً علماً وتحقيقاً ومتانة. متحضراً للفروع الفقهية ومتون الأخبار، له التضلع في المعقول والمنقول والأدب، ومن شيوخ الفقه والأصول، عابد زاهد ورع تقي، لم تتمكن الياسة من إغرائه وافتتانه وتخديره وجذبه رغم محاولاتها الشيطانية ومواعيدها الدنيوية الضئيلة. ولد في يزد سنة ١٢٥٢هـ وقرأ مقدماته والعلوم العربية ومضى إلى إصفهان وحضر أبحاث علمائها وتخرج عليهم وهاجر في ١٢٨١هـ إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على الشيخ راضي النجفي المتوفى ١٢٩٠هـ والسيد محمد حسن الشيرازي المتوفى ١٣١٢هـ ونال مرتبة الاجتهاد والفتيا واستقل بالتدريس والبحث وتقلد زعامة الحوزات الدينية في العراق وإيران، وشملت مرجعيته أكثر الأمصار الإسلامية. وقرأ عليه جمع غفير من الشيوخ. وانهالت عليه الاستفتاءات من كافة الأقطار لما كان له في نفوس المسلمين من النفوذ والإطاعة والإكبار والتقديس إلى أن توفي ٢٨ رجب ١٣٣٧هـ
خلفه: السيد علي، السيد محمد، السيد حسن، السيد أحمد، السيد محمود، السيد أسد الله.
له: اجتماع الأمر والنهي، الاستصحاب، بستان نياز، التعادل والتراجيح، حاشية فرائد الأصول، حاشية المكاسب، حجية الظن في عدد الركعات وكيفية صلاة الاحتياط، رسالة في إرث الزوجة من الثن والعقار، السؤال ولا جواب، الصحيفة الكاظمية، العروة الوثقى ط، الكلم الجامعة والحكم النافعة، رسالة في منجزات المريض.
كتب عنه كامل سلمان الجبوري بحثاً مفصلاً بعنوان (السيد محمد كاظم اليزدي، سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه) طبع في إيران ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
ترجمته في: أحسن الوديعة ١٨٨/١، اختران تابناك ٣٨٧، الأعلام ٢٣٤/٧، أعيان الشيعة ٢٠٦/٤٦، الذريعة ٢٦٨/١ وج٢٥/٢ وج١٠٨/٣ وج١٦٠/٦، ٢٢٠، ٢٧٣ وج٥٥/١١ وج٢٤٨/١٢، ٢٥٢ وج١٣٦/١٨ وج١٨/٢٣، ريحانة الأدب ٣٩١/٦، شخصيت/٤٢٨، شهداء الفضيلة ٢٥١، علماء معاصرين ١١٣، فوائد الرضوية ٥٩٦، كتابهاي عربي ١٧٥، ١٥٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٥٨، ٣٩١، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٧٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١، ٥٨٨، ٦٢١، ٨٢١، ٨٤١، ٨٥٥، ٩٠٩. لغت نامه ١٨٢/٥٠، ماضي النجف ٨/٣، ٩٠، ١٢١، ١٨٤، ١٩٨، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٧٢، معارف الرجال ٣٢٦/٢، معجم المؤلفين ١٥٦/١١، معجم المؤلفين العراقين ٢٣٠/٣، مكارم الآثار ١٣٢١/٤، نجوم السماء ٢٧٩/٢، هدية الرازي ١٤٥، معجم رجال الفكر ١٣٥٨/٣-١٣٥٩.

١٢- (رحلة حج من العصر الناصري)[١]

لكاتب مجهول

مقدمة:

هذه الرحلة المنظومة شعراً، لا نعرف مؤلفها، والنسخة الوحيدة التي عثرنا عليها لهذه الرحلة محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٨٦٤٨، وناظمها لم يشر إلى اسمه فيها، ولا نعلم لمن هي، وفي أي زمان قُرِئت ولا تاريخ الرحلة أيضاً، سوى بيت واحد من أبياتها نستطيع من خلاله معرفة أنها قيلت في عهد ناصر الدين شاه، وذلك قبل وصوله إلى عرفات يقول فيه:

العالم كله مآله إلى ديننا نحن

اللهم أعط الفتح لـ(ناصر ديننا)

ومن المتيقن أن الناظم كان من شيعة إيران، وقصد الحج، وعلى الطريقة المتبعة آنذاك، فيبدأ بالمشاهد المقدسة في الكاظمية، وسامراء، وكربلاء، والنجف، وبعدها عن طريق الجبل، أخذ طريقه إلى مكة، وفي اليوم ٢٥ من ذي الحجة قصد المدينة المنورة، وبعد زيارة قبر النبي (ﷺ) ذهب إلى الشام. وتنتهي هذه الرحلة (كما في النسخة الموجودة لدينا) بعد أن يصف الشام... ولا نعلم أي طريق سلك للعودة، وعلى أي حال فإن رحلة الحج هذه تبدأ من الكاظمية وتنتهي بالشام.

نص الرحلة[٢]

النجف الأشرف:

من هنا توجّهنا إلى صوب النجف

قلوب الزائرين تطفح بالشوق والشغف

وصلنا إلى مواضع أقدام سلطان الدين

ذاك مرساة السما والأرضين

وتعظيماً لتلك التميمة للسما

صبغنا الوجوه بلون البكا والعويل

طبعنا قبلةً على أعتاب بابه

وقفنا كالشموع المحترقة بجنابه

مسكنا ضريح شاه اللا فتى

وصيّ الرسول ووليّ الإله

أنت نصير الأنبيا منذ الأزل

وقسيم الجنّة والنار عند الأجل

كلّ الجنان الخضر في اختيارك

وغيوم السماء ميدان سباق خيلك

لا آدم ولا نوح ولا الجنّ ولا الملَك

كان لهم إشراق نور وجهك، ولا الفلَك

فنبيّ اللّه نوح لمّا بنى سفينته

أنت الذي ظهر له وعلّمه كيف يصنع

أطلب منك يا أيّها السلطان المقتدر

أن لا نرى الذلّ يوم المحشر

أنت الذي توصل بيسرٍ وأمان

عبيدك إلى برّ أمان فاطمة

نقدّم بين يديك التماساتنا

بأن يقبل اللّه زياراتنا

وأنْ يكون حجّنا وباقي الزائرين

بلطفك مقبولاً يا إله العالمين

وأن تَهَب منك إلينا ورفاق السفر

سلامةً لا تفارقنا حيثما كان المقرّ

وأمّا مَن كان منّا في الوطن

فارزقه المجيء إلى جنبنا بالسلامة

بعد هذا طبعنا قبلةً على العتبة

وطلبنا ممّن هو شاه الإنس والجان

ونحن ذلك اليوم جميعاً متعبون

فحيناً نرتجف وحيناً نلتهب كالنار

---

(١) أعدّ هذه الرحلة ومقدمتها باللغة الفارسية العلامة الشيخ رضا مختاري، والعهد الناصري أي عهد ناصر الدين شاه القاجاري.

(٢) هذه الرحلة مكتوبة في الأصل كمنظومة شعرية، وما نقدّمه هنا هو ترجمة نثرية للمقطع الخاصّ بمدينة النجف الأشرف.(المترجم)

مَلفّ العَدد

أَعلامٌ كُوفِيُّون

(القسم الأول)

١ - حجر بن عدي ..... الأستاذ عبد الله السبيتي

٢ - سليمان بن صرد الخزاعي .....أ.د.صلاح مهدي الفرطوسي

٣ - كميل بن زياد النخعي.....العلامة السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب

٤ - صالح بن ميثم التمار.....الدكتور وفقان خضير الكعبي

٥ - أبو عمر الشيباني.....الدكتور رزق فرج رزوق

٦ - ابن السكيت الكوفي.....الأستاذ كمال جمعة بهرام

٧ - يعقوب بن إسحاق الكندي.....الأستاذ كوكيس عواد

❖ ❖ ❖